الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

UNIVERSITE 8 MAI 1945-GUELMA
faculté des lettres et des langues
Département de langue et littérature Arabe



جامعة 8 ماي 1945 قالمة
الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

N° : …………..

الرقم: ……………

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير

(تخصّص:علوم اللسان)

الحجاج في زهديات أبي العتاهية

إعداد الطالبة:
سهيلة بن عبد الحفيظ

إشراف الأستاذ:
د.بوزيد ساسي هادف

تاريخ المناقشة:……………….

أعضاء اللجنة المناقشة:

- أ.د.مُحَمَّد الأخضر الصبيحي	أستاذ التعليم العالي	جامعة منتوري قسنطينة	رئيسا
- د.بوزيد ساسي هادف	أستاذ محاضر (أ)	جامعة 8 ماي 1945قالمة	مشرفا و مقررا
- د.فريدة زرقين	أستاذ محاضر (أ)	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا
- د.وردة معلم	أستاذ محاضر (أ)	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2015/2014

بسم الله الرحمان الرحيم

قال الله تعالى في كتابه العزيز:

"ادْعُ إلى سَبيل رَبّكَ بالحِكْمَةِ و المَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُمْ بالتّي هِيَ أحْسَن إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وهُوَ أعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ"

سورة النحل، الآية 125.

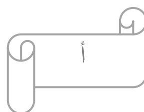
مقدمة

يعد الحجاج آلية خطابية لدى الإنسان يمارسها مع الآخرين دفاعا عن أفكاره ومعتقداته عارضا أو مفندا محاورا أو مقنعا ،إنه فعل علائقي يبرز به صاحبه أنماط أفعاله بالحجة والبرهان بشكل طبيعي وفعّال عبر شبكة من الأقوال أو التعايير الحاملة لصورة حجاجية تستجيب لأهداف تأثيرية إنجازية في المخاطبين أفرادا وجماعات.

إلا أنّ الحجاج في معظمه لا يتم إلا باللغة أو الخطاب أو داخلهما معا الشيء الذي يجعل الحجاج ذا بعد تلفظي استدلالي تنتمي عناصره الحية المتفاعلة إلى المجال التداولي بحكم متغيراته وآفاقه.

ولما كان الشعر إبداعا لغويا يتصف بالاستمرارية فالحضارة العربية منذ القديم جعلت هذا الفن محملا لمقوماتها وذلك لقدرته على سبر أغوار اللحظة الحضارية التي تعيشها واستشراف مستقبلها وبذلك أصبح هذا الفن من أحسن مستويات التعبير العاطفي واللغوي ،وقد عمل المبدعون على إخراجه في صورة فنية متكاملة وكل واحد حاول أن يجعل خطابه الشعري متميزا عن بقية الخطابات لذلك عمدوا إلى استخدام أحسن المقومات في بناء خطاباتهم معتمدين التقنيات الحجاجية بوصفها الطرائق التي تكشف عن مهارة منتجيها بما تثيره من انفعال لدى المتلقي، فللمتلقين عواطف وأحاسيس ولو استطاع المحاجج أن يضرب على أوتار عواطف المتلقين فإنه سيكون قادرا على إقناعهم بأفكار بعينها ،لأن غاية الحجاج الأساسية هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه للعمل أو يهيئه للقيام بالعمل.

وزهديات أبي العتاهية إحدى أهم روائع تراثنا العربي في العصر العباسي والتي تهدف كأي نص أدبي إلى الإقناع ولذلك ارتأينا أن نتخذ منها موضوعا للدراسة من وجهة نظر حجاجية إيمانا منا بجدوى الكشف عن الجانب الإقناعي لهذا النص الشعري ،وقدمنا هذه الدراسة تحت عنوان: [**الحجاج في زهديات أبي العتاهية**].



وككل بحث يتطلب إشكالية معينة ،انطلقنا في مساءلتنا لهذه المدونة والتي هي موضوع التحليل من مجموعة فرضيات أو أسئلة سعينا إلى الإجابة عنها في متن البحث وهي كالآتي:

1- إذا كنّا نسلم أنّ النص الشّعري يحتلّ جزءا واسعا في الفضاء التواصلي فهل يمكن الحديث عن حجاج في شعر أبي العتاهية؟

2- إذا كنّا نعلم أنّ الفنّان لا يقدم على أي عمل فني ما لم يقنع ،وإذا كانت غاية المتكلم هي الإقناع فهل انتهج الشاعر الإقناعية كوسيلة خطابية؟

3- ما هي أهم الآليات الحجاجية التي اعتمدها أبو العتاهية للإقناع والتأثير في المتلقي؟ وماطبيعة هذه الحجج المعتمدة؟

ولقد تم اختيار الحجاج موضوعا للدراسة نظرا للأهمية التي يحملها ، إذ أضحى الحجاج موضوعا لافتا للانتباه بسبب حضوره الكلي أو الجزئي أو الضمني في مجموعة من الخطابات سواء أكانت فلسفية أم قضائية أم أدبية أم سياسية أم لسانية ...ومن هنا أصبح أداة لمناقشة الأفكار مهما كانت طبيعتها ومصداقيتها وغدا آلية مهمة في عملية التواصل ، هذا التوجه الجديد استدعى اهتمامنا وكان حافزا في اختيارنا لموضوعنا.

أما النموذج المخصص للدراسة التطبيقية "زهديات أبي العتاهية" وذلك لأن شعره لم يحظ باهتمام الدارسين خلافا لما حضي به شعر الآخرين، إضافة إلى أنّ الشاعر اعتمد وجوها حجاجية في شعره سواء على مستوى التراكيب اللغوية أو البلاغية.

كان ذلك سببا للبحث في هذا الديوان لا سيما وأنّ شعره أقرب إلى الحياة العادية ويكاد يكون تصويرا لها في بعض المواقف مما شجعنا على دراسته حجاجيا والكشف عن خباياه.

ومن أجل ذلك اقتضت طبيعة الموضوع أن يكون المنهج المعتمد مزيجا بين المنهج التاريخي من خلال تتبع مسار الدرس الحجاجي عند القدماء و المحدثين ، و المنهج الوصفي الذي خصصناه للمجال التطبيقي و حاولنا من خلاله وصف ورصد بعض الظواهر اللغوية و البلاغية المتعلقة

بالحجاج في المدونة وتصنيفها حسب طبيعتها مستعينين بالمنهج التداولي في مقاربة الخطاب الحجاجي الشعري باعتبار الحجاج أحد أهم مباحث التداولية.

وغايتنا في ذلك تحقيق مجموعة من الأهداف منها:

1- التعرف على أهم مفاهيم الحجاج والحقول المعرفية التي تناولته من خلال الوقوف على تاريخه قديما وحديثا عند العرب والغرب.

2- رصد بعض الشروط والخصائص التي يقتضيها الخطاب الحجاجي.

3- الكشف عن الآليات الحجاجية اللغوية والبلاغية المكونة للخطاب الشعري في زهديات أبي العتاهية بما يتوافق مع مكونات النص ويتماشى مع حدوده اللغوية ومميزاته التركيبية.

4- معرفة وسائل الإقناع فقد أضحى الحجاج مطلبا أساسيا في كل عملية اتصالية تستدعي الإقناع والإفهام.

وقد وضعنا كل من هذه الأهداف في شكل أرضية مفهومية وتطبيقية ومنهجية تضيء العمل وتنظم خطواته على النحو الآتي:

المدخل: تطرقنا فيه إلى الحجاج والشعر، بحيث تم فيه إبراز الصفة الحجاجية للشعر ،وكيف ينهض الشعر بوظيفة حجاجية واستشهدنا بنموذجين أوردهما الجاحظ في البيان والتبيين.

الفصل الأول: يحمل عنوان، الحجاج بين النشأة والمفهوم، حيث نزع منزعا نظريا خالصا وقفنا فيه على مفهوم الحجاج لغة واصطلاحا ،كما عرضنا فيه للحجاج عرضا تاريخيا من خلال تتبع مساره التاريخي عند العرب لتأكيد أصالة الحجاج عندهم وعند اليونان باعتبارها مهد النظرية الحجاجية وصولا إلى التطور والتجديد الذي تم على أيدي المحدثين ،وأبرزنا فيه أهم خصوصيات النص الحجاجي.

الفصل الثاني: تطبيقيا بعنوان ،آليات الحجاج اللغوية في زهديات أبي العتاهية، والذي أبرزنا من خلاله الدور الحجاجي لبعض التراكيب اللغوية كالأساليب الإنشائية والتوكيد والعطف والتكرار...

الفصل الثالث: بعنوان آليات الحجاج البلاغية في زهديات أبي العتاهية، تناولنا هذه الوسائل البلاغية بالتركيز على أهم عناصر البلاغة التي تساعد في حدوث عملية التأثير والإقناع كالتقسيم والاستعارة والتشبيه والطباق...

ملحق :فيه تفصيل لحياة الشاعر.

ثم خلصنا في كل ذلك إلى نتائج استجمعناها وقدمناها مرتبة في خاتمة تفي بالغرض وتستجيب لأهداف الدراسة.

وأثناء اطلاعنا على أهم الأبحاث والدراسات السابقة التي أجريت حول الشاعر نذكر بعض الدراسات منها "أبو العتاهية حياته وأغراضه الشعرية" لأحمد محمّد عليّان تناول فيه حياة الشاعر وأغراضه الشعرية المختلفة و"إسماعيل ابن القاسم بن سويد" لهشام صالح منّاع لا يختلف عن السابق حيث تناول فيه حياة الشاعر،و"أبو العتاهية رائد الزهد في الشعر العربي" لأسامة عانوتي، رسالة ماجستير في الآداب ،بيروت ، لبنان ،1957، إلا أن هذه الدراسات تدور حول جانب واحد هو حياة الشاعر وأغراضه الشعرية لذا حاولنا أن ندرس الموضوع من وجهة نظر حجاجية.

أما موضوع الحجاج باعتباره نظرية ،درس عدة دراسات اتخذناها وسيلة لبناء بحثنا الماثل بين أيديكم ،لأن أي بحث علمي لا بد أن يكون حلقة وصل بين عدة بحوث نذكر منها بعض الدراسات المتعلقة بالجانب الشعري مثلا:

- بلاغة الحجاج في الشعر العربي "شعر ابن الرومي نموذجا" 2007، للباحث إبراهيم عبد المنعم إبراهيم حاول فيه تطبيق نظرية الحجاج على شعر ابن الرومي.
- الحجاج في شعر أبي العلاء المعري للباحث عماد سعد محسن ،رسالة علمية غير منشورة بكلية الآداب ،جامعة حلوان ،2008 ،تناول الباحث موضوع الحجاج في شعر أبي العلاء المعري محاولا الكشف عن إمكانية الوجود الحجاجي في المجال الشعري.
- الحجاج في شعر النقائض للطالبة مكلي شامة،جامعة تيزي وزو،2009،اقتصرت في دراستها على نقيضتين إحداهما لجرير والأخرى للفرزدق.

وغيرها من الدراسات إلا أن هذه الدراسات لم يسعفنا الحظ في الإطلاع على بعضها.

ولتحقيق الغاية المرجوة من البحث اعتمدنا على عدد من المصادر والمراجع نذكر منها : الحجاج في الشعر العربي القديم لسامية الدريدي، استراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم حمادي صمود... هذا بالإضافة إلى مدونة البحث التي طبقنا عليها وهي أبو العتاهية أخباره وأشعاره.

ومن الطبيعي أن تواجه أي باحث صعوبات أثناء بحثه ومن بين هذه الصعوبات التي واجهت الدراسة:

1- تشعب نظريات الحجاج وعدم وجود نماذج تطبيقية كثيرة لمثل هذه الأعمال خاصة في المجال الشعري.

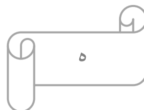
2- اختلاف المصطلحات الخاصة بالحجاج واختلاف آليات التحليل وطرائقه من باحث إلى آخر وتداخل هذه الآليات.

3- قلة المراجع المتخصصة وصعوبة الحصول عليها.

4- كبر حجم المدونة جعلنا نتصفح كل صفحاتها مما أخذ منا الكثير من الوقت والجهد.

وأخيرا أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور بوزيد ساسي هادف الذي رافقنا طوال مشوارنا البحثي مسديا لنا بعض النصائح والتوجيهات التي أنارت دربنا وأوضحت لنا بعض الرؤى في معالجة هذا الموضوع كما أتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة.

والله ولي التوفيق



مدخل

الحجاج والشعر

1.الحجاج والشعر:

نظر عدد من الباحثين إلى الشعر والحجاج على أنهما متعارضان تعارضا يجعل من العبث الحديث عن حجاج في الشعر، ومن أبرز هؤلاء الفيلسوف الأمريكي ستيفان تولمين (s.toulmin) صاحب كتاب "**استعمال الحجاج**"، ويمكن تلخيص موقفه في المعادلة الآتية: الحجاج ≠الشعر، وهو موقف علله صاحبه بفكرة رئيسية جوهرها قيام الحجاج على الابتذال، فلا يمكننا- في نظره-الحديث عن حجاج فردي أو ذاتي له سماته الخاصة المميزة لأنه ضرب من المعارف الشائعة المبتذلة؛ فحتى وإن أحطنا بقوانينه وطرائق تصريفه في الخطاب أتى هذا الخطاب الحجاجي مشابها لأي خطاب آخر لا ذاتية فيه ولا تميز بوصفه قائما في جوهره على الشائع المبتذل، وهذا ما يخالف -في رأيه- حقيقة الشعر الذي يقوم على الفردية ويتأسس على التجربة الذاتية فلا مجال فيه للابتذال،فإذا به يناقض الحجاج وإذا بماهيته أو حقيقته تقصيه من دائرة الحجاج والاستدلال[1].

لكن القدماء لم يفصلوا الشعر عن الخطابة حيث كان "جورجياس" يعتقد أن اللفظ هو وسيلة الإقناع، فعرفه "بأنه قوة خارقة، تصنع المعجزات. فهو رغم ضآلته يمنح الخوف، ويزيل الأسى، ويبعث البهجة، ويملأ النفس ثقة وطمأنينة... إنّه يسحر الألباب ويؤثر عليها بسحره ....". لذلك لم يفرق بين تأثير الشعر وتأثير الخطابة، لأنهما في رأيه يهدفان إلى السحر والإقناع. وقد وصف الشعر بأنّه كلام موزون، يسحر ألباب الناس ويستولي عليهم، يثير فيهم الخوف من مصير الشخصيات ويبعث فيهم الشفقة عليهم[2].

ودراسة الإرسال والتلقي عند القدماء ذات طابع معياري بارز، فهي تنصرف مباشرة إلى الأثر، فلا يتعلق الأمر عندهم بدراسة وصفية تهتم بالعملية في شروطها الموضوعية أو التاريخية، بل يهتمون

---

(1)عبد الله بيرم، التداولية والشعر قراءة في شعر المديح في العصر العباسي، تقديم: .منتصر عبد القادر الغضنفري، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان،2013_2014 م ،ص167.

(2) عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى مرور القرن الثامن هجري، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 40، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1419هـ-1999م، ص 342.

بالأثر الآني الذي تتركه الرسالة أو ينبغي أن تتركه وكيف يكون الخطاب ناجعا، ومن ثم تصبح البلاغة سلطة أمام النص، وتوقع الشعري في شرك الوظيفة الخطابية، أي الإقناع في كل حالة بالوسائل الاحتمالية المتاحة[1].

كانت الخطابة فاعلة في المجتمع العربي الإسلامي، على المستويات: الاجتماعي، الديني، والسياسي، والعسكري والعلمي. هذه الخطابة تمثل أحد النصين الأدبين (الخطبة، والقصيدة) اللذين دارت حولهما البلاغة العربية؛ إذكانت الخطابة قسيم الشعر في الأدب العربي القديم. كما أن النص الثاني لم يخل من خطابيته،من حيث كون القصيدة شاركت الخطبة في كثير من موضوعاتها وغاياتها،فقد نظمت القصيدة العربية القديمة -أكثر ما نظمت-للمفاخرة والمنافرة، والمدح والهجاء، والتنصل والاعتذار، والحث والإنهاض، والدعاية والترويج. فالشعر -كما يقول ابن سينا- قد يقال للتعجب وحده، وقد يقال لأغراض المدنية وهي المشورية و المشاجرية و المنافرية، شأنه في ذلك شأن الخطابة[2].

فالخطيب كان يرى بالفعل أن عمله ينصب على التأثير في الجمهور، بينما كان عمل الشاعر يترك في المحاكاة المكثفة للواقع الإنساني والطبيعي. ومن المؤكد أن الشاعر كان ذا تأثير هو الآخر على الجمهور. فالشاعر لديه فرصة كي يقدم أمام الجمهور محاكاته لواقع الحياة، وهو من هذه الوجهة مؤثر فيها مثل الخطيب[3].

في كتاب " إحصاء العلوم" نجد الفارابي، وهو يستعرض أجزاء المنطق الثمانية، يجعل أنواع القياس خمسة: " برهانية وجدلية وسوفسطائية وخطبية وشعرية". والأقاويل الخطبية عنده " هي التي شأنها أن يلتمس بها إقناع الإنسان في أي رأي كان، وأن يميل ذهنه إلى أن يسكن إلى ما يقال له، ويصدق به تصديقا ما"

---

(1) محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ص 243.

(2) جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص 128.

(3) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،عدد 164 ، 1992م، ص 47.

والخطابة شأن الشعر جزء من الرؤية الفلسفية العامة للفارابي، تأخذ مكانتها في حياة الناس داخل المدن. فالخطابة والشعر صناعتان منطقيتان موجهتان إلى عامة الناس، وموضوعاتها لا تختلف عند الفارابي. فإذا كانت الخطابة هي جودة إقناع في الأشياء التي تزاولها الجمهور وبمقدار المعارف التي لهم، وبمقدمات هي في باديء الرأي مؤثرة عند الجمهور وبالألفاظ التي هي في الوضع الأول على الحال التي اعتاد الجمهور استعمالها. فالصناعة الشعرية تخيل بالقول في هذه الأشياء بعينها.[1]

ولقد كان الكثير من المفكرين و النقاد العرب ومنهم حازم القرطاجني أكثر وسطية فبالرغم من أنهم يقرون بأن الإقناع والتخييل مما يميز الخطابة من الشعر، إلا أنهم أثاروا في مواضع عدة من كتبهم أن الخطابة قد تستعمل التخييل والشعر قد يستعمل الإقناع يقول حازم القرطاجني: "وينبغي أن تكون الأقاويل المقنعة، الواقعة في الشعر تابعة لأقاويل مخيلة، مؤكدة لمعانيها مناسبة لها فيما قصد بها من الأغراض، وأن تكون المخيّلة هي العمدة، وكذلك الخطابة ينبغي أن تكون الأقاويل المخيلّة الواقعية فيها تابعة لأقاويل مقنعة مناسبة لها مؤكدة لمعانيها. وأن تكون الأقاويل المقنعة هي العمدة"[2].

فالوظيفة الشعرية عند حازم – التي هي جوهر الشعر باعتباره كلاما مخيلا-عندما يتجاوز الشعر عملية الإخبار إلى إحداث الإثارة فيصبح خطابا يتميز بوظيفتين: الأولى نفعية تستهدف إقناعا، والثانية جمالية تتأسس على المحاكاة[3].

واتجه حديث حازم عن الوظيفتين الجمالية والأخلاقية صوب الفصل بينهما تارة لحدّ الشّعر على أنه تخييل في جوهره، واتجه صوب الوصل العميق بينهما تارة أخرى لبيان أنّ الأقاويل الشعرية إن كانت مخيلة في أساسها فإنها لا تخلو من الإقناع[4].

(1) عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة الغربيين إلى حدود القرن الثامن هجري، ص 184-185.

(2) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمّد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، 2008، ص 326.

(3) تسعديت فوراري، الملتقى في منهاج البلغاء وسراج الأدباء، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سلسلة الدراسات (13)، 2008، ص 18.

(4) ، المرجع نفسه، ص 50.

وهذا يعني أن الخطاب الشعري ليس خطابا مفروضا على العقل والوجدان دون أن يترك للمخاطب فرصة التفكر والاستدلال. والاستدلال والتعليل والحجاج تعد شروطا أساسية للتحاور، كلها تؤدي إلى الإقناع الذي يفرض المشاركة بين الطرفين المتحاورين دون إكراه، فآليات الاستدلال التي ينطوي عليها الخطاب الشعري عند حازم في جوهرها تقنيات حجاجية، والحجاج بنية تداولية يقترن فيها قصد التوجيه بقصد التأثير والتقويم الأخلاقي المقترن بالعمل، وخاصية أساسية من خصائص الخطاب الإقناعي الذي يعرفه الدرس الحديث(1).

ولو انطلقنا من تعريف الشعر عند حازم لوجدنا له أثرا حجاجيا بينا فقد عّرف الشعر "بأنه كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهروب منه..."(2).

وهذا يعني أن الشعر فعل كلام يهدف إلى تغيير السلوك واتخاذ موقف.

كما أن الجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة" لم يفصل الشعر عن الخطابة من حيث تلازمهما واشتراكهما في كثير من الخصائص والأغراض، ويتضح ذلك في حديثه عن بناء الشعر والخطابة على التخييل لا المعقول في قوله: "وعلى هذا موضوع الشعر والخطابة أن يجعلوا اجتماع الشيئين في وصف علّة الحكم يريدونه وإن لم يكن في المعقول ومقتضيات العقول"(3).

ويستشهد الجاحظ على كل ما يذهب إليه في كتابه "البيان والتبيين" بخطابات من أقوال العرب، ويستوي عنده في ذلك جنسا النثر والشعر، إذ يتعامل مع كل جنس منهما بوصفه خطابا في هذا المضمار، بغض النظر عن التصنيف التقليدي أو الفوارق الدقيقة بينهما،مع احتفاظه لكل جنس

---

(1) تسعديت فوراري، المتلقي في منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 67.

(2) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 63.

(3) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، صححها وعلق حواشيه مُحمَّد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1409هـ-1988م، ص 235.

بخصائصه التي تميزه على مستوى الشكل إذ لم يقتصر مفهوم الخطاب الإقناعي عنده على جنس بعينه(1).

هذا هو الشعر إذن ينبني بنفس المواد التي ينبني بها النثر أو الخطابة عامة، إنّ الفارق بينهما هو أنّ أحدهما يغلب مقومات على أخرى، وهذا ما جعل كل واحد منهما يقوم كخطاب متميز. ومن ثم ليس بمستغرب أن عدّ العرب الشعر صناعة ترمي إلى اكتساب تسليم الغير بما نقول وألحقوه بالجدل والخطابة(2).

فقد نقل لنا أبو حيان التوحيدي في كتابه "الإمتاع والمؤانسة" عن ابن نباتة قوله: "من فضل النّظم أن الشواهد لا توجد إلا فيه، والحجج لا تؤخذ إلا منه، أعني [أن] العلماء والحكماء والفقهاء والنحويين واللغويين يقولون: قال الشاعر؛ وهذا كثير في الشعر، والشعرقد أتى به، فعلى هذا الشاعر هو صاحب الحجّة، والشعر هو الحجّة"(3).

وهذا ما أكده أبو هلال العسكري في حديثه عن مراتب الشعر العالية في قوله: ومما يفضل به غيره أنه ليس يؤثر في الأعراض والأنساب تأثير الشعر في الحمد والذم شيء من الكلام؛ فكم من شريف وضع، وخامل دنيء رفع؛ وهذه فضيلة غير معروفة في الرسائل والخطب. ومما يفضلهما به أيضا أنه ليس شيء يقوم مقامه في المجالس الحافلة والمشاهد الجامعة، إذا قام به منشد على رؤوس الأشهاد، ولا يفوز أحد من مؤلّفي الكلام بما يفوز به صاحبه من العطايا الجزيلة، والعوارف السنيّة، ولا يهتز ملك ولا رئيس لشيء من الكلام كما يهتز له، ويرتاح لاستماعه، وهذه فضيلة أخرى لا

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت ،لبنان ،ط1، 2004، ص 449.

(2) جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص 128.

(3) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق محمّد حسن إسماعيل، شارك في التحقيق الدكتور أحمد رشيد شحاته عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 1428هـ-2007م، ص 303.

يلحقه فيها شيء من الكلام. ومن ذلك أيضا أن الشواهد تنزع من الشعر، ولولاه لم يكن على ما يلتبس من ألفاظ القرآن وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم شاهد"(1).

كما قد يتحول الشعر من كونه خطابا حجاجيا إلى كونه قولا مأثورا وشاهدا يدخل في تركيب الخطاب الحجاجي بوصف الشعر هو الشاهد والحجة. وعليه يثبت حقيقة مهمة وهي: "إنّ النص الشعري، ليس لعبا بالألفاظ فقط، وليس نقل تجربة فردية فحسب، إنّه يهدف كذلك إلى الحث والتحريض والإقناع والحجاج. وهو يسعى إلى تغيير أفكار المتلقي ومعتقداته، وإلى دفعه إلى تغيير وضعيته وسلوكه ومواقفه. مما يعني أن الصفة البرهانية الإقناعية خاصية تحضر في المثل والحكمة والشعر على حد سواء ،بل إنّ النظرية الحجاجية تذهب إلى أبعد من ذلك، فتعد أن أي نص شعري أو أدبي تكون له، إلى جانب الوظيفة الشعرية، وظائف أخرى، مثل الوظيفة الانفعالية والوظيفة التوجيهية والإقناعية، والتي يعبر عنها بالتعجب والندبة والاستغاثة والأمر والنداء، أو بأسماء الأفعال والروابط التداولية الحجاجية"(2).

2. وظيفة الشعر الحجاجية.

للشعر سلطة على النفوس وقدرة على توجيه المتلقي نحو غاية رسمها الشاعر، فهو كأي خطاب موجه من متكلم إلى متلقّ مقصود لأن القصيدة هي فعل أو حدث شعري يحمل قوة إنجازية معينة ويفضي إلى إحداث أثر ما. وقد أدرك القدماء هذا التأثير الحجاجي للشعر فإذا بحثنا في أمهات الكتب نجد أقوال تدعم دور الشعر في عملية الإقناع من ذلك أن الجاحظ أورد في كتابه "البيان والتبيين" مجموعة من الأخبار تثبت نهوض الشعر بوظيفة حجاجية اخترنا منها خبران في قوله:

- **الخبر الأول**: ومن قدر الشّعر وموقعه في النفّع والضّر، أن ليلى بنت النضر بن الحارث بن كلدة لما عرضت للنبي —صلى عليه وسلم-وهو يطوف بالبيت واستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف

(1) أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق علي محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1371هـ-1952م، ص 137-138.

(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص 543-544.

منكبه، وأنشدته شعرها بعد مقتل أبيها، وقال رسول الله -ﷺ- لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته!"[1].

والشعر: [من الطويل]

يا راكباً إنَّ الأُثَيل مظِنّةٌ من صبحِ خامسةٍ وأنت موفَّق

أبلغ بها مَيْتاً بأنَّ قصيدةً ما إن تزال بها الرّكائبُ تَخفقُ

فليسمعنَّ النّضر إن ناديتُهُ إن كان يسمعُ ميّتٌ لا ينطق

ظلّت سيوف بني أبيه تَنوشُهُ لله أرحامٌ هناك تشقَّقُ

أمحمّدٌ ها أنت ضَنء نجيبةٍ في قومها والفحل فحلٌ مُعْرِقُ

ما كان ضرّك لو مننت وربّما منَّ الفتى وهو المغيظُ المحنَقُ

فالنَّضُر أقربُ من تركت قرابةً وأحقهم إن كان عتقٌ يعتَقُ

علّقت سامية الدريدي على هذه الأبيات بقولها: هذا الخبر مفاده أن أحدهم أمر النّبي بقتله فقُتل، وإذ بابنة له تعترض طريق النبي لتنشده شعرا بدا جلياً أنّه أثّر فيه تأثيرا جعله في جملة شرطية افتراضية يقّر أنّ هذا الشعر قادر على نقض قرار القتل وإبطاله في حال أسبقيته عليه، وهو على ما نرى تأثير خطير يجعل القارئ، يبحث في شعرها عن أساليب الحجاج ووسائل الإقناع التي جعلته قولا يصيّر الحكم عفوا أي يحول الفعل إلى نقيضه ويوجه السلوك إلى طريق تباين طريقا أولى وتغايرها.

وليس الحكم كما نرى حكما عادّيا نوعا ومصدرا فهو أقصى حكم قد يتخذ في شأن مذنب وهو إلى ذلك صادر عن نبي تستند إليه العصمة ويقّر له بالعدل ومجانبة الهوى ومن كانت هذه صفاته لا يتراجع عن حكم أصدره ولو على سبيل الافتراض إلا إذا فطن إلى حجج تبرئ المذنب وتؤكد قسوة الحكم الصادر في شأنه، فالشاعرة قد اعتمدت حجتين هما ضرورة مراعاة صلة الرحم ورحمة

(1) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ج4، ط7، 1418هـ-1998م، ص 44.

العاجز الضعيف بالعفو عنه، وهو كما نرى قيمتان أساسيتان في الإسلام على الّرسول أن يتحلى بهما قبل كل مسلم باعتباره قدوة للجميع، ثم إنهّا قد أجادت تصوير حرقتها لفقد أبيها من جهة وتصوير حاله وهو يقاد في الأغلال قبل قتله ثم وهو عرضة لسيوف قومه لا تأخذهم به رحمة رغم صلة الرحم[1].

- وأما **الخبر الثاني** فأورده في قوله: "وتزّوج شيخ من الأعراب جارية من رهطه، وطمع أن تلد له غلاما فولدت له جارية، فهجرها وهجر منزلها، وصار يأوي إلى غير بيتها، فمّر بخبائها بعد حول وإذا هي تُرقّصُ بنيتّها منه وهي تقول:

ما لأبي حمزة لا يأتينـا يظلُّ في البيت الذي يلينا

غضبان أن لا نلد البنينا تالله ما ذاك في أيديـــنا

وإنمّا نَأْخُــذُ ما أُعطيناَ

فلّما سمع الأبيات مّر الشيخ نحوهما ُحضًرا حتى ولج عليهما الخباء وقبل بنيتّها وقال: ظلمتكما وربّ الكعبة!"[2].

والشعر في هذا الخبر باعتباره خطابا، كان الباث فيه امرأة تزوجت شيخا من الأعراب لم يلبث أن هجرها حين رزقت بنتا، أما المتلقي فإنه لم يحضر ساعة الخطاب، أو على الأقل لم يوجه إليه الباث الخطاب مباشرة، وإن كان يستحضره ساعة إنشاء الشعر، فكانت عملية التلقي صدفة لا اتفاقا، وإذا بالخطاب يقوم بوظيفته الإقناعية فيغير المواقف، وتتجلى بذلك قدرة الخطاب على النهوض بوظيفة براغماتية (نفعية) صرفه.

(1) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني بنيته وأساليبه، جدار للكتاب العالمي، عمان الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1428هـ-2008، ص 72.

(2)أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ص 47.

إن المرأة وقد أنشدت هذه الأبيات تكون قد أنجزت فعل التلفظ هذا الفعل أنتج ملفوظا شعريا، كانت له وظيفة حجاجية إقناعية[1].

(1) نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ط1، 1434هـ-2013م، ص 110.

الفصل الأول

الحجاج بين النشأة والمفهوم

1. مفهوم الحجاج:

يمكن الوقوف على مفاهيم الحجاج من خلال حصر مفهومه اللغوي والاصطلاحي.

أخذت كلمة "Argument" من الفعل اللاتيني Arguere، وتعني جعل الشيء واضحا ولامعا وظاهرا، وهي بدورها من جذر إغريقي apyns (argues)ويعني أبيض لامع. ويشير المصطلح argueفي اللغة الإنجليزية الحديثة إلى وجود اختلاف بين طرفين، ومحاولة كل واحد منهما إقناع الآخر بوجهة نظره من خلال تقديم الأسباب أو العلل التي يراها حجة مدعمة أو داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك ما[1].

أما في السياق اللغوي العربي يرجع مصطلح الحجاج إلى مادة "حجج" التي يمكن تركيب عدة كلمات واشتقاقها منها مثل: الحجّة والتحاج والاحتجاج والمحاجة... وغير ذلك من التصريفات الاشتقاقية.

ومن ذلك مثلا قول الرازي:" (الحجّة) البرهان و(حاجّة فحجّه) من باب رد أي غلبه بالحجّة. وفي المثل: لجّ فحجّ فهو رجل (محجاج) بالكسر أي جَدِلٌ و(التَّحاجّ) التخاصم و(المحجَّةُ) بفتحتين جادة الطريق"[2].

ويورد ابن المنظور المعاني التالية:

حاجَجْتُه أُحَاجُّه حجاجً ومحاجَّةً أي غلبته بالحجج التي أدليت بها.

والحجَّة: البرهان؛ وقيل الحُجَّة ما دوفع به الخصم؛ قال الأزهري: الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وهو رجل مِحْجَاجٌ أي جدل.

والتَّحاجُ: التخاصم؛ وجمع الحُجَّة: حُجَجٌ وحجاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحجَاجًا: نازعه الحُجَّةَ. واحتج بالشيء: اتخذه حُجَّة؛ فقال الأزهري: إنما سميت حُجَّة لأنها تحج أي تقصد لأن القصد لها وإليها؛

(1) حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن،2010م، (ج1)، ص 2.

(2) أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط1، 1414هـ-1994م، ص 62.

وكذلك محجة الطريق هي المقصد والمسلك[1]، نستنتج من خلال هذا التعريف أن ابن منظور يجعل الحجاج مرادفا للجدل، فالجدل عنده هو "مقابلة الحجة بالحجة"[2].

وجاء في التعريفات للجرجاني أن "الحجَّةُ ما دل على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد"[3].

أما كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي فقد عرّف الحجَّة بقوله:" الحجَّة بالضم مرادف للدليل. والحجة الإلزامية هي المركبة من المقدمات المسلمة عند الخصم، المقصود منها إلزام الخصم وإسكاته، وهي شائعة في الكتب. والقول بعدم إفادتها الإلزام لعدم صدقها في نفس الأمر، قول بلا دليل لا يعبأ به"[4].

يتضح لنا من خلال هذه التعاريف أن لفظ الحجاج يحمل معاني لغوية متعددة لكنها متقاربة من حيث الحقل الدلالي، ومن ذلك: التخاصم، الجدل، الدليل، البرهان، الغلبة، المنازعة، القصد.

كما نلاحظ من خلال ما تقدم، أن اللغويين العرب يشتركون في نقطة واحدة هي أن الحجاج يكون أثناء المخاصمة والجدل بين شخصين، حيث اعتبروا الحجة (أي الدليل والبرهان) كوسيلة يستعملها الطرف المتكلم (أي المجادل أو المخاصم) للتغلب على خصمه وبلوغ مقصده خلال العملية الحجاجية التواصلية.

- **اصطلاحا:**

اختلف الباحثون في تحديد مفهوم مصطلح الحجاج فمنهم من يحدده من بواعثه ومنهم من يضبطه من مراتبه ومنهم من يحدده من تقنياته ووسائله.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت ،لبنان،م2 ،ط6،1417هـ،1997م،ص 228.

(2) المرجع نفسه، ص 105.

(3) الشريف الجرجاني، التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، ص 87.

(4)التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، وضع حواشيه أحمد حسن بسج، م1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط، 1427هـ-2006م ،ص 388.

فالحجاج يرتبط بعدة حقول معرفية، كالفلسفة والمنطق، واللسانيات والبلاغة ونظرية التواصل والقانون، وحديثا امتد الأمر إلى علم النفس وعلم الاجتماع وغيرها من التخصصات الأخرى، بل أصبح يشمل ميادين جديدة تتعلق بكل أنواع الخطاب الإقناعي بدءا بالإشهار مرورا بالشعر وصولا إلى الوثائق الرسمية كالمعاهدات والاتفاقات السياسية، كما أصبح يضم كل أصناف الخطاب الشفوي والمكتوب ليشمل ميدان الصورة والصوت كاللوحات الإشهارية والأشرطة السينيمائية... وغيره، لذا من الصعب حصر مفهوم محدد للحجاج ومع هذا سنحاول أن نلتمسه فيما يلي:

- الحجاج شكل من أشكال التواصل والتخاطب والنقاش والحوار، لا يتّبع منطقا معينا وليست له موضوعات محددة، بل موضوعاته هي قضايا تشمل كل المعارف الإنسانية فخاصية الحقيقة كما يقول "بوبر" تكمن في قابليتها للدحض، ولا تخضع لحدود تفصلها عن كل العلوم الإنسانية: (منطقية، تداولية، لسانية، معرفية، فلسفية وغيرها) باعتبارها وسائط للثقة بين الناس يكون الحجاج هو الدافع إليها[1].

يعتبر الحجاج مجالا من مجالات التداولية، وقد راعى طه عبد الرحمان في الحجاج طبيعته التداولية التواصلية، الجدلية في قوله " وحد الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية، إنشاء موجه بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على إلتزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة..."[2].

(1) عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ،افريقيا الشرق، الدار البيضاء،المغرب،2006م، ص 12.
(2) طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب،بيروت،لبنان،ط2، 2000م، ص 65.

إنّ التداولية عالجت الحجاج باعتباره فعلا لغويا، إذ ربطت مفهومه بالفعل "وهو بحث من أجل ترجيح خيار من خيارات قائمة وممكنة بهدف دفع فاعلين معينين في مقام خاص إلى القيام بأعمال إزاء الوضع الذي كان قائما"(1).

والغاية التي يرمي إليها الحجاج هو استمالة المتلقي والتأثير في سلوكه، ومن ثم الإقناع "وبذلك يعد الحجاج خطابا ذا إقناعية تروم دفع المتلقي إلى تغيير اعتقاداته، وتبني ثقافة وسلوكات وتصرفات منشودة، انطلاقا من حجج ملائمة لثقافة المتلقي المفترض وتمثلاته"(2).

ونرصد هنا تعريفا آخر للحجاج على أنه:" وسيلة المتكلم في جعل المتلقي يتقبل آراءه واتجاهاته وانتقاداته وتوجهاته"(3).

فالحجاج إذا وسيلة من وسائل الإقناع يستخدمها المرسل للتأثير على المتلقي أو دحض آراءه أو حتى تغيير سلوكه بواسطة حجج مناسبة.

ولأخذ فكرة واضحة عن مفهوم الحجاج ينبغي مقارنته بمفهوم البرهنة أو الاستدلال المنطقي. فالخطاب الطبيعي ليس خطابا برهانيا بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو لا يقدم براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي. فلفظه "الحجاج" لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما، أو إظهار الطابع الصحيح للاستدلال ما من وجهة نظر منطقية.

ويمكن التمثيل لكل من البرهنة والحجاج بالمثالين التاليين:

1- كل اللغويين علماء	2 -انخفض ميزان الحرارة
زيد لغوي	إذن سينزل المطر
إذن زيد عالم	

(1) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر و التوزيع، ط2009،1م، ص105.

(2) يوسف محمود عليمات، بلاغة الحجاج في النص الشعري دالية الراعي النميري نموذجا، مجلة جامعة دمشق، المجلد 29، العدد (2+1)، 2013م، ص 228.

(3) عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة-الجزائر، العدد التاسع، 2013م، ص270.

يتعلق الأمر في المثال الأول ببرهنة أو بقياس منطقي، أما في المثال الثاني، فإنه لا يعدو أن يكون حجاجا أو استدلالا طبيعيا غير برهاني.

واستنتاج أنّ زيدا عالم، في المثال الأول حتمي وضروري لأسباب منطقية، أما استنتاج احتمال نزول المطر في المثال الآخر فهو يقوم على معرفة العالم، وعلى معنى الشطر الأول من الجملة، وهو استنتاج احتمالي(1).

وبذلك يمكننا أن نبرز الفرق بين الحجاج والبرهان فيما يلي:

- الحجاج مجالاته متعددة منها الفلسفة، الحجاج القانوني، الحجاج السياسي... أما البرهان فمجاله المنطق.
- الحجاج شخصي، بينما البرهان غير شخصي.
- الحجاج يعطينا الإقناع، بينما البرهان يعطينا الصواب أو الخطأ.
- الحجاج أساسه الرأي، أما البرهان فأساسه الحقيقة.
- الحجاج لا يقبل المعالجة الآلية، أما البرهان فيقبل ذلك(2).

من خلال هذه الفروق نجد الحجاج أوسع من البرهان، ذلك أن البرهان منحصر في قواعد معروفة ونتيجته يقينية عكس الحجاج الذي يتسم ببنيات واسعة ويتيح مقدمات كثيرة للحصول على نتائج كثيرة.

إن الباعث أو المحرك الأول للحجاج هو الاختلاف، فالحجاج لا يكون فيما هو يقين أو إلزامي، فنحن لا نحاجج في أمر مأخوذ على أنه حقيقة يقينية راسخة كالحقائق الرياضية مثلا أو في أمر مأخوذ على أنه أمر صارم واجب النفاذ، وإنما يكون الحجاج –كما يقول بيرلمان– فيما هو مرجع وممكن ومحتمل(3).

(1) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1 ،2006م،ص14-15.

(2) أبو الزهراء، دروس الحجاج الفلسفي، 2008 http// www. philomartil.comص 5-6.

(3) جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص 106.

فعندما يعلو الحجاج إلى مرتبة الحقيقة يتحول إلى يقين، يؤدي إلى الاتفاق المطلق أو الاختلاف المطلق، وهو بهذا لا يعد موضوعا للتواصل والحجاج، كما يقول موشلير:" حين يتفق الجميع فلا مبرر لما يقال، وحين يكون القول الحجاجي مغلق فلا يشكل قولا حجاجيا"[1].

هذه نماذج من تعاريف قدمت للحجاج وتطول القائمة بالتعريفات إن مضينا في إيرادها وخلاصة تلك التعريفات "أن الحجاج جنس خاص من الخطاب يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا، قاصدا إلى إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية"[2].

2. تاريخ نشأة الحجاج:

يعتبر الحجاج علما قديما جدا ارتبط بالكثير من المجالات، وسمحت بذلك طبيعته، فقد ارتبط بالمنطق وبالبلاغة وبالجدل، وإذا كان الاهتمام بالحجاج قديما قدم التراث اليوناني، فهو اليوم موضوع دراسات كثيرة في حقول الفلسفة واللغة على حد سواء، ولا يخفي أن النظر في الحجاج والبحث في أصنافه لا يتأتى إلا بالرجوع إلى أصوله اللغوية والفلسفية في التراث الإنساني.

فأبحاث الحجاج في عصرنا تطورت نتيجة "استلهام الموروث البلاغي والفلسفي عند الغربيين من خلال إحياء التراث الفلسفي اليوناني، وعند العرب من خلال إحياء التراث البلاغي والكلامي العربيين"[3]. لذلك عمدنا إلى الوقوف على تاريخه عند العرب والغرب.

(1) عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج، ص 12.

(2) حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته ،(ج4)، ص 5.

(3) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير للنشر والتوزيع، حسين داي الجزائر، ط1، 2008م، ص 66.

1.2 عند العرب:

أ. قديما:

يضرب الحجاج بجذور قوية في الخطاب العربي، بحيث تجلى من خلال المناظرات والمسامرات والنقاشات التي كانت تحدث بين الشعراء في العصر الجاهلي، واستعمله الخلفاء والقادة في رسائلهم وخطبهم، كما تجسد في العصر الإسلامي لاسيما في القرآن الكريم والسنّة النّبوية.

ولا تكاد تخلو كتب التراث العربي من تداول مصطلح الحجاج خاصة في المسائل ذات الطابع الفكري والفلسفي التي كثيرا ما يعتريها الخلاف في وجهات النظر فهو مستعمل في علوم النحو والبلاغة والفقه وعلم الكلام، وقد استعملت مصطلحات مقاربة لمعنى الحجاج "الجدل، المناظرة، الاحتجاج...." فتقاربت معانيها إن لم نقل ترادفت ومن مظاهر ذلك ما سنورده فيما يأتي:

- **القرآن الكريم:**

لقد ورد الحجاج في القرآن الكريم بمعانيه وصيغه المختلفة، فقد جاء بلفظ حجاج وجدل وبرهان، ونلمسه في آيات كثيرة منها قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ﴾[1]. فسّر هذه الآية محمد الطاهر بن عاشور بقوله: "معنى حاجَّ خاصم، وهو فعل جاء على زنة المفاعلة ولا يعرف لحجاج في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام، ولا تعرف المادة التي اشتق منها.ومن العجيب أنّ الحجّة في كلام العرب البرهان المصدق للدّعوى مع أنّ حجّ لا يستعمل غالبا إلاّ في معنى المخاصمة (...) وأنّ الأغلب أنّه يفيد الخصام بباطل"[2].

وقال في شان "الجدل" عند تفسير قوله تعالى:﴿وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾[3].

(1)سورة البقرة، الآية 257.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، نقلا عن عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي ،بيروت ،لبنان،منشورات كلية الآداب والفنون ،تونس ،ط1 ،2001 م،ط2007،2م،ص 11.

(3) سورة النساء ،الآية 107.

"والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجّة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك"[1].

وقال في موضع آخر: "المجادلة: المخاصمة بالقول وإيراد الحجّة عليه فتكون في الخير كقوله: "يجادلنا في قوم لوط" وتكون في الشّر كقوله: "ولا جدال في الحجّ"[2].

إن الجامع بين معنيي اللفظين هو المخاصمة لكنها في الحجاج قائمة على الباطل كما أشار إلى ذلك ابن عاشور معتمدا مدونة القرآن، في حين أن الجدل منه ما هو حق ومنه ما هو باطل كما يفهم من شاهدي القرآن المذكورين ضمن قول ابن عاشور[3].

أما الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" وفي الفصل المعنون "في معرفة جدلة" فإنّه يتحدث عن البرهان والاستدلال يقول: "فاعلم أنّ القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلّة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلّا وكتاب الله تعالى قد نطق بها"[4].

ومهما يكن من أمر فإن الحجاج والجدل يكثر ورودهما مترادفين في اصطلاح القدماء ففي كتاب "الإتقان في علوم القرآن" لجلال الدين السيوطي، وفي الفصل المعنون "جدل القرآن" قصد بالجدل البرهان ومعه الحجاج وربط هذه المصطلحات بالمذهب الكلامي، وهكذا فالإمام السيوطي جمع بين الحجاج والجدل والبرهان وقصد بهم وإن ضمنيا المذهب الكلامي[5].

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، نقلا عن عبد الله صولة، المرجع نفسه، ص 11.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) عبد الله صولة، المرجع نفسه، ص 11.

(4) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار المعرفة، بيروت، لبنان ،ج2 ،ص24.

(5)قدور عمران البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل،عالم الكتب الحديث،إربد،الأردن،ط1، 2012م،ص25.

فالحجاج في القرآن الكريم مفهوم معبر عنه بأشكال من العبارات والأساليب(*) التي تروم الحوار وتهدف إلى الإقناع بالبراهين والأدلة العقلية والكونية والفطرية، وقد جمع القرآن الكريم كل تلك الدلالات في ضميمة جامعة هي "الحجّة البالغة"(1).

- **الحديث النبوي الشريف:**

لم يخل الحديث النبوي كذلك من إشارات إلى ضرورة إتّباع الحوار المقنع مع الناس ومن أشهر ما يستدل به في الموضوع حديث الرجل الذي جاء إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم–ناكرا لون ولده قائلا: "يا رسول الله إنّ امرأتي ولدت غلاما أسود، فقال له رسول الله: هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: ما ألوانها؟ قال حمر، قال هل فيها من أورق، قال نعم، قال: فمن أين؟ قال لعلّ عرقا نزعه، فقال رسول الله: وهذا الغلام لعلّ عرقا نزعه"(2).

وهذا تبيين الاستدلال من رسول الله – صلى الله عليه وسلم–وقد اختلف من حديث لآخر، ومن ثمّ راح المسلمون يحاور بعضهم بعضا ويناظر بحثا عن مخرج لما استشكل عليهم من قضايا وأمور لم يألفوها في العهد الأول للإسلام.

- وكان خطاب المناظرة في التراث العربي، من أهم أنواع الخطاب الذي ينتجه المرسل للإقناع، ويمكن الاستشهاد على ذلك ببعض جهود القدماء، مثل ما فعله **الباجي** في مقدمة منهاجه، ولقد ذكر الباجي أن مؤلفه "**المنهاج في ترتيب الحجاج**" مستمدّ من الكتاب والسنّة ومناظرة الصحابة "ولو تأمّلت ما في كتابنا هذا من هذه الطريقة، لرأيته كلّه مأخوذا من الكتاب والسنّة ومناظرة الصحابة..."(3).

(*)هذه المفردات (العبارات) هي: الجدل، المخاصمة، المراء، التحاور، المنازعة، الخلاف. أنظر لمهابة محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم دراسة مصطلحية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (81)، الجزء (3)، ص 532-533.

(1) المرجع نفسه، ص 532.

(2) حمو النقّاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 134،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1427هـ/2006م،ص 83.

(3) أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد تركي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 2000-2001م، ص 09.

وأورد في كتابه أهمية الحجاج في قوله: "وهذا العلم يعد من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا، لأنّه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحقّ من المحال، ولو لا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجّة ولا اتّضحت محجّة ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم"(1).

نلاحظ أنّ أبا الوليد الباجي سمى كتابه "المناهج في ترتيب الحجاج" ولكنه في المقدمة وفي مضمون الكتاب يتحدث عن الجدل، وهذا يعني أن الحجاج عنده مرادف للجدل "لولا تصحيح الوضع لما قامت حجّة..."

- وقد استخدم **ابن خلدون** مصطلح الحجاج في **مقدمته** في معرض حديثه عن علم أصول الفقه بوصفه آلية من آليات الإقناع، حيث أشار إلى ما يجب أن يتحلى به المتجادلون من معرفة آداب المناظرة بقوله: "وأما الجدل، هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية، فإنّه لما كان باب المناظرة في الردّ والقبول متّسعا، وكل واحد من المناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج (...) ولذلك قيل فيه: إنّه معرفة بالقواعد، من الحدود والآداب، في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره"(2).
- واشتهر **ابن حزم الأندلسي** المفكر الحجاجي الذي لا يهدأ من السجال والحجاج والجدال، بالمناظرات لدرجة أنه يناظر كل شخص يقابله. مما جعل الكتابة الفلسفية لديه لا تتخذ صورة إنتاج فلسفي منظم ومنسق، بل طغى عليها طابع النقد والجدال(3).

لقد انشغل ابن حزم بالحجاج في موسوعته الموسومة بـ: "**الفصل في الملل والأهواء والنحل**" ولم يكن ممارسا له على نحو يسير أو في اقتصاد شديد، فهناك في الكتاب فصول حجاجية فعلا،ومهما يكن من قوتّها أو ضعفها، فهي تظلّ ممارسة للاحتجاج بالأدلة العقلية وذلك الشرط الأول في المتكلم، بل إن صوت الجدل، لا يكاد يخفت في الفصول العديدة لهذا الكتاب، ولا تخبو

(1)أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، ص 9.

(2)عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، المقدمة، اعتناء ودراسة أحمد الزغبي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص 495.

(3) حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ،ص 127 .

حدّته حتى لا تكون الأقوال تقريرا في غير استدلال أو تسليما في غير احتجاج، فأمر الجدل في الكتاب غير يسير، فهو متمكن من معرفة آراء الخصوم وقوة حججهم، يتصدى للخصوم في العديد من المسائل بكل ما يكون في وسعه من أدلّة عقلية هي المعوّل عليها في الكلام، والمعتمد عليها عند المتكلمين لأنّها هي التي ترشد إلى الحقّ[1].

- أما **إسحاق ابن وهب**، فقد ربط الحجاج بالجدل والمجادلة ويمكن تلخيص فكره في النقاط الرئيسية الآتية:

1. قدّم ابن وهب تعريفا دقيقا للجدل والمجادلة، وضع فيه يده على مقصد الجدل ووقوعه في مسائل خلافية: " وأما الجدل والمجادلة، فهما قول يقصد به إقامة الحجّة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب والديانات، وفي الحقوق والخصومات والتنصّل في الاعتذارات"[2].
2. الجدل فيما يفهم من كلام ابن وهب – خطاب تعليلي إقناعي: فالجدل إنمّا يقع في العلّة من بين سائر الأشياء المسؤول عنها.
3. إذا كانت مقامات اختلاف وخصومات ونحوها، فإن الاعتبار الأخلاقي من أوجب ما توجبه تلك المقامات، بل هو أوجبها.
4. مما ذكر ابن وهب في مبحثي الجدل والمجادلة: و"أدب الجدل" ما يمكن أن ينظر إليه الآن من منظور "الاستراتيجية الاتصالية الحجاجية" من أهم ذلك:

أ. أن يبني المجادل مقدماته مما يوافق الخصم عليه[3].

(1)حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص 128، 129.

(2) ابن وهب البرهان في وجوه البيان نقلا عن حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة ،(ج4)،ص 7.

(3) حافظ اسماعيلي علوي ،المرجع نفسه، ص 8.

ب.أن يصرف همته إلى حفظ النكت التي تمر في كلام خصمه مما يبني منها مقدماته، وينتج منها نتائجه، ويصحح ذلك في نفسه، ولا يشغل قلبه بتحفظ جميع كلام خصمه فإنّه متى اشتغل بذلك أضاع ما هو أحوج إليه منه.

ت.ألاّ يقبل قولا إلاّ بحجّة، ولا يرده إلاّ لعلّة.

ث.ألّا يجيب قبل فراغ السائل من سؤاله، ولا يبادر بالجواب قبل تدبّره، واستعمال الرويّة فيه.

ج. ألاّ يشغب إذا شاغبه صاحبه، ولا يرد عليه إذا أربى في كلامه، بل يستعمل الهدوء والوقار، ويقصد مع ذلك لوضع الحجّة في موضعها، فإن ذلك أغلط على خصمه من السبب.

ح. أن يخاطب الناس بما يعهدون ويفهمون، فلا يخرج في خطابهم عمّا توجبه أوضاع الكلام.

5. قول ابن وهب: "إنّ الجدل إنّما يقع في العلّة" مطابق لما تقول به النظرية الحجاجية المعاصرة[1].

- وتناول **الجاحظ** استراتيجية الإقناع في كتابه "**البيان والتبيين**" حيث يتنازع البيان عنده مفهومان:

1. البيان معرفة: الوظيفة الفهمية.
2. البيان إقناع: أو الوظيفة الإقناعية[2]

أي أنّ البيان يسهم في توضيح المعاني وفك الغموض والالتباس ومن ثمّ يسمح للمتلقي باستيعاب فكرة المرسل والاستجابة له.

وتحدّث منذ مطلع الكتاب، عن فعل البيان وأثره ومساوئ العيّ وضرره، فكشف عن مقصوده بصورة غير مباشرة، ومرجعة الدور الإقناعي للكلام وما يتصل به من عناصر إقناعية غير لغوية-كما عرض لهذا الجانب الإقناعي ضمن أخبار وأحداث داخل الكتاب[3].

وقد حاول الجاحظ إيضاح مفهومي البلاغة والبيان، باستشهاده ببعض ما ورد في صحيفة تنتمي إلى الثقافة الهندية، ويكون مركز هذه البلاغة الخطاب اللغوي وما يصاحبه من وسائل إشارية

(1) حافظ اسماعيلي علوي ،الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 9.
(2) محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 194.
(3) المرجع نفسه، ص 196.

ورمزية ودلالات لفظية وغير لفظية، إذ يقول: "أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللّحظ، متخيّر اللّفظ، لا يكلم سيد الأمّة بكلام الأمّة ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة..."(1).

ففي هذا النص يتضح أن الغاية القصوى عند الجاحظ في كتاب "البيان والتبيين" هي الخطاب الإقناعي الشفوي. وهو إقناع تقدم فيه الغاية (الإقناع) على الوسيلة (اللغة) وتحدد الأولى طبيعة الثانية وشكلها حسب المقامات والأحوال(2).

ومن هنا يتبين أن الجاحظ اهتم بأحوال الخطيب ومقتضيات المقام وهو عنصر هام من العناصر الحجاجية.

وعليه يمكن إرجاع وظائف البيان عند الجاحظ إلى ثلاث وظائف أساسية:

أ. الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية (حالة حياد): إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام.

ب.الوظيفة التأثيرية (حالة الاختلاف): تقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب.

ت.الوظيفة الحجاجية (حالة الخصام): إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار.(3)

- وقد أورد **أبوهلال العسكري** مصطلح الحجاج في كتاب "**الصناعتين**" حيث خصص له فصلا تحت عنوان "في الاستشهاد والاحتجاج" وشرحه بقوله: "وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته"(4).

(1)أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين،ج1 ،ص 92.

(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 449.

(3)محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،ص 213.

(4) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 416.

كما جعل أعلى رتب البلاغة في الاحتجاج في قوله: أعلى رتب البلاغة أن يحتج للمذموم حتى يخرجه في معرض المحمود، وللمحمود، حتى يصيرّه في صورة المذموم"[1].

والمتأمل في تعريفات العسكري للبلاغة يتأكد أن البلاغة هي الحجاج كما هو واضح في باب تفسير ما جاء عن الحكماء والعلماء في حدود البلاغة على لسان محمد بن علي رضي الله عنهما: "البلاغة قول مفقه في لطف؛ فالمفقه: المفهم، واللطيف من الكلام: ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة، وتلين به العريكة الأبيّة المستصعبة، ويبلغ به الحاجة وتقام به الحجّة"[2].

- ودافع **عبدالقاهرالجرجاني** عن إعجاز القرآن بإقناع الناس بفكرة النظم، مما طبع دلائه بطبيعة حجاجية واضحة، حيث صرّح في مقدمة كتابه "**دلائل الإعجاز**" بأن الكلام نظم واتبّاعه يحقق الإقناع بقوله: "وينبغي لكل ذي دين وعقل أن ينظر في الكتاب الذي وضعناه ويستقصي التأمل لما أو دعناه، فإن علم أنّه الطريق إلى البيان والكشف عن الحجة والبرهان تبع الحق وأخذ به، وإلّا رأى أنّ، له طريقا غيره أومأ لنا إليه، ودلّنا عليه، وهيهات ذلك"[3].

يعد النظم مكونا جوهريا في تحليل القول، يتشكل من خلال أربعة أبعاد أساسية تؤدي وظائف مختلفة لكنها متناغمة نظما وهي:

أ. **الإتساق التركيبي**: هو الإحكام الداخلي للغة عن طريق قواعد النحو التي تقوم بإيضاح الفروق بين معاني الكلم.

ب.**التناسق الدلالي**: المتمثل في صلاحية المعنى الكلي، انطلاقا من معاني الكلمات المتجاورة معجميا.

ت.**التلاؤم التداولي**: بأن يقتضيها موجب ومقتضى، أي أن المقتضيات المقامية تكون حاضرة في النظم، حيث تلعب دور الملاءمة بين السياق الداخلي اللغوي والمقام الخارجي.

---

(1) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 53.

(2) المرجع نفسه، ص 51.

(3) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز غي علم المعاني، صحح أمثاله محمد عبده ومحمد محمود التركزي الشنقيطي، صحح طبعه وعلق حواشيه محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1402هـ/1981، ص (ت ث)

ث.**الأثر الحجاجي:** يقوم النظم بتحريك انفعال المخاطب أو استمالته أو الدفع به نحو قبول فكرة معينة (الإقناع)(1).

وقد سلك الجرجاني في تحليله للقول مسلكا إبداعيا حيث أعطى للمقولات النحوية أبعادا تداولية ومعاني جديدة ووظائف تأثيرية غير تلك التي كررها وأطنب فيها النحاة القدامى والجدد على حد سواء(2). كما أعطى أيضا للاستعارة والتمثيل أبعادا حجاجية حيث قال عنه طه عبد الرحمان: "إنّ أول من استخدم آليات حجاجية لوصف الاستعارة هو إمام البلاغيين العرب عبد القاهر الجرجاني، فقد أدخل الادعاء بمقتضياته التداولية الثلاثة "التقرير" و"التحقيق" و"التدليل""(3).

وفي حديثه عن الوظيفة الحجاجية للتمثيل يقول: "واعلم أنّ مما اتّفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة [....] فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم [...] وإن كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر وإن كان افتخارا كان شأوه أبعد [...] وإن كان اعتذارا كان إلى القلوب أقرب..."(4).

ومرجع هذه النعوت التأثير العاطفي والاحتجاج العقلي

- وعرض **حازم القرطاجي** للحجاج في كتابه "**منهاج البلغاء وسراج الأدباء**" ضمن نظريته العامة في "التخييل والإقناع" حيث ميز بين جهتين للكلام في قوله: "لما كان كل كلام يحتمل الصدق والكذب، إما أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإما أن يرد على جهة الحجاج والاستدلال"(5)، ثم ميز بين طريقتين لإقناع الخصم هما: التمويهات والاستدراجات وهي من الاستراتيجيات الحجاجية المهمة يقول: "التمويهات تكون فيها يرجع إلى الأقوال و

(1) عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص73.

(2) المرجع نفسه، ص 74.

(3) طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 313.

(4) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص 92، 93، 94.

(5) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 55.

الاستدراجات تكون بتهيّؤ المتكلم بهيئة من يقول قوله، أو باستمالته المخاطب واستلطافه له بتزكيته وتقريظه أو باطبائه إياه لنفسه وإحراجه على خصمه حتى يصير بذلك كلامه مقبولا عند الحكم، وكلام خصمه غير مقبول"[1].

وحدد حازم طرق تحقيق التمويهات فيما يلي:

والتمويهات تكون بطيّ محل الكذب من القياس عند السامع أو باغتراره إيّاه ببناء القياس على مقدمات توهم أنها صادقة لاشتباهها بما يكون صدقا، أو بترتيبه على وضع يوهم أنه صحيح لاشتباهه بالصحيح، أو بوجود الأمرين معا في القياس أعني أن يقع فيه الخلل من جهتي المادة والترتيب معا، أو بإلهاء السامع عن تفقد موضع الكذب وإن كان إلى حيّز الوضوح أقرب منه إلى حيّز الخفاء بضروب من الإبداعات والتعجيبات تشغل النفس عن ملاحظة محل الكذب والخلل الواقع في القياس من جهة مادة أو من جهة ترتيب أو من جهة المادة والترتيب معا[2].

ب. حديثا:

إنّ المتتبع للدراسات العربية الحديثة في مجال الحجاج يسجل آفاق معتبرة في هذا الحقل، حيث كانت هناك جهود متفرقة على هيئة كتب ومقالات ودراسات وأبحاث، تراوحت بين الاستفادة من الموروث القديم وبين استثمار الطروحات المعاصرة، بعضها حاول الكشف عن جذور هذا الدرس في الثقافة العربية الإسلامية وبعضها الآخر قام على استثمار النظريات الغربية في معالجة بعض النصوص الخطابية المتمثلة في القرآن الكريم والشعر العربي ومن شواهد ذلك أعمال مجموعة من الباحثين منهم:

- **محمد العمري**: "**في بلاغة الخطاب الإقناعي**" يقدّم هذا الكتاب قراءة إشكالية للخطابة العربية، إنّها قراءة في ضوء بلاغة الإقناع وتاريخ الخطاب، حيث حاول فيه(العمري) تطبيق التصور الغربي خاصة نظرية الإقناع عند أرسطو على نماذج من خطابه القرن الأول هجري "وبدأ الحنين من

(1)حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، 56.

(2) المرجع نفسه ، ص 56-57.

جديد إلى ريطورية أرسطو التي تتوسل إلى الإقناع في كل حالة على حدة بوسائل متنوعة حسب الأحوال"(1).

وقد قسّمه إلى خمسة فصول، تناول في الفصل الأول أسس بلاغة الخطاب الإقناعي والحجج والبراهين الخطابية، وفي الفصل الثاني عمد إلى تحديد مقام الخطاب كما هو الحال عند أرسطو "نحاول أن نوظف المصطلحات البلاغية العربية بإدخالها فيما يناسبها ويستوعبها من نظرية أرسطو وعلى رأسها قضية مراعاة المقام والحال التي نجعلها عنوان للعلاقة بين الخطيب والمستمع...."(2).مبينا الأسس المقامية لتصنيف الخطاب كمقامات الخطابة الدينية وما يندرج تحتها (مقام التعليم، مقام الوعظ، مقام المناظرات المذهبية)، ومقامات الخطابة السياسية (كالحوار بين الأنداد، والحوار بين الراعي والرعية)، ومقامات الخطابة الاجتماعية، وفي الفصل الثالث عرض لصور الحجاج، كالقياس والمثال والشاهد، وتناول الأسلوب في الفصل الرابع عرض فيه إلى البنية الصوتية وإيقاع النص الخطابي كالخطب المسجوعة، وخطب بين السجع والازدواج، وخطب مرسلة، ثم ختم عمله بفصل قصير عن ترتيب أجزاء القول في الخطابة العربية مستشهدا بأمثلة.

- **طه عبدالرحمان:** يرتبط الدرس الحجاجي العربي المعاصر ارتباطا وثيقا بالفيلسوف طه عبد الرحمان، فلقد تميزت نظرته للحجاج بطابع فلسفي يستند إلى المنطق، وانبنت أعماله على المزاوجة بين القديم العربي والحديث العربي، ومن أبرز هذه الأعمال مصنفيه "**اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي**"، "**في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**".

عرّف طه عبد الرحمان الحجاج انطلاقا من مبدأين أساسين هما "قصد الادعاء" و "قصد الاعتراض" يقول: "إذحد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"(3). فالحجاج بهذا المعنى بناء تقابلي بين العارض والمعترض، وهذا ما جعل طه عبد

(1) محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، أفريقيا الشرق ،بيروت ،ط2 ،2002 ،ص 14.

(2) المرجع نفسه، ص 21.

(3) طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 226.

الرحمان ينشيء في كتابه "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" نموذجا نظريا للحوارية لتصنيف الخطاب ووصفه، وجعلها مراتب ثلاث (الحوار، المحاورة، التحاور) وتشترك جميعا في كونها فعاليات خطابية يقول: "أعلم أن مراتب الحوارية تشترك جميعا في كونها فعاليات خطابية"(1).

كما عقد بابا في كتابه "اللسان والميزان" سماه الخطاب والحجاج، فهو يرى "أن الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية، بناء على أنه لا خطاب بغير حجاج"(2).

وقد احتوى على مدخل وأربعة فصول، تميز الفصل الثاني والثالث بتوضيح العلاقة الحجاجية فتناول الأول منها مفهوم الحجاج وحدد أنواعه الثلاثة كما حدد لكل نوع منها نموذجه التواصلي المناسب له مبرزا صفاته وقواعده و حدوده، وتناول الآخر مراتب الحجاج والقوانين التي تضبطها، كما قابل بينهما وبين ضروب قياس التمثيل ، وفي الفصل الرابع درس الاستعارة بين الحساب والحجاج مؤصلا لها كما وردت عند عبد القاهر الجرجاني.

- ويعد كتاب "**بلاغة الخطاب وعلم النص**" **لصلاح فضل** من بواكير المصنفات في الدراسات المعاصرة التي تهتم ببلاغة الحجاج وبرائدها بيرلمان.

كما أنّه أول من أشار إلى الروافد المعرفية للحجاج في المجالات الفلسفية والعلمية مثل الذكاء الاصطناعي وعلم اجتماع المعرفة؛ هذا فضلا عن طرافة التصور الذي قدّمه الدكتور صلاح للربط بين البلاغة وعلم النص، هذا العلم الذي يتحرك في خطى حثيثة نحو استيعاب مختلف الأبواب البلاغية الجديدة والقديمة، مكرسا بذلك مفهوم التداخل المعرفي الذي أصبح سمة أساسية يتقاطع فيها مع بلاغة الحجاج(3).

---

(1) طه عبد الرحمان، أفي أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 66.

(2) طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 213.

(3) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط 1، 2008م،ص 16-17.

كما وقف عند موقف الاستعارة بين الدلالة ومؤثرات السياق، وهذا نظرا للدور الفعال الذي أصبحت تضطلع به، والذي منحها تلك المكانة التصويرية التعبيرية والتأويلية، حتى إن بعض النقاد والمعاصرين اعتبرها "الوجه البلاغي الذي نجسّد به حياتنا"(1).

يقول: "من الضروري أن نضع بنية الاستعارة فوق خلفية فنون المحاكاة من جانب، وفنون البرهان المقنع من جانب آخر"(2).

قدّم صلاح فضل إلى القارئ العربي قراءة واعية وصورة جلية –من مختلف الزوايا–للبلاغة المعاصرة واتجاهاتها عامة والحجاجي منها خاصة، وجدنا مفاهيمه وآراء رواده مبثوثة في الكتاب بثا، أي غير معروضة فقط تحت عنوان واحد، وذلك وعيا منه بتشعب المجالات التي تساهم فيها بلاغة الحجاج، فكان أن عرض لنا كل تصور في سياقه الخاص. وفي ذلك فوائد متعددة لعلّ أهمّها معرفة تطور هذا المفهوم خاصة والمفاهيم والأشكال البلاغية المعاصرة عامة، ثم طبيعة علاقاتها بالحقول المجاورة لها وكذا البعيدة منها(3).

- ويعد الدكتور **أبو بكر العزاوي** من أصحاب المشاريع الجديدة للدراسات اللغوية والحجاجية خصوصا، حيث أسهم في هذا الميدان بعدد من المقالات والكتب توزعت بين دراسة الشعر والنثر دراسة حجاجية ومن ذلك: اللغة والحجاج، الخطاب والحجاج، نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، نحو تحليل حجاجي لنص شعري.... وهو ينطلق في أبحاثه من مبدأ عام هو "لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل"(4).

وفيما يخص كتابه "**اللغة و الحجاج**" حاول الإحاطة بتحديدات أساسية لنظرية الحجاج اللغوي كما أكده في مقدمة كتابه مبينا الهدف من الدراسة "نهدف في هذا البحث إلى دراسة ووصف

(1) محمد سالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 237.

(2) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 144.

(3) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 242.

(4) أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص 106.

بعض الجوانب الحجاجية للغة العربية، وقد تبنينا نظرية الحجاج في اللغة التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي أوزفالد ديكرو إطارا نظريا ومنهجيا لهذا البحث"(1).

وقد قسمه إلى أربعة فصول تناول في الفصل الأول الحجاج اللغوي والدلاليات الحجاجية، معرفا بمفاهيمها ومصطلحاتها مثل الحجة، النتيجة، الروابط والعوامل الحجاجية، السلم الحجاجي، المبادئ، والمسلمات الحجاجية، وخصص الفصل الثاني من الكتاب لدراسة بعض الروابط الحجاجية في اللغة العربية مثل: بل، ولكن، وحتى، ودرس في الفصل الثالث ظاهرة الاستعارة مبرزا مظاهرها الحجاجية من خلال مفاهيم السلم الحجاجي والإبطال والقوة الحجاجية، أما الفصل الأخير الموسوم بـ "قوة الكلمات أو اللغة بين الإنجاز والحجاج" خصصه للمقارنة بين الجوانب الإخبارية للكلام وجوانبه الإنجازية والحجاجية.

ويعتبر كتابه "**الخطاب والحجاج**" حلقة متممة لكتابه السابق "اللغة والحجاج" فهو يهدف إلى دراسة الحجاج في مستوى الخطاب منطلقا من مسلمة مفادها "أن كل النصوص والخطابات التي تنجز بواسطة اللغة الطبيعية حجاجية"(2). وقد قسمه إلى أربعة فصول. فأما الفصل الأول الموسوم بـ "الخطاب القرآني سورة الأعلى نموذجا" فهو دراسة للبنية الحجاجية للخطاب القرآني، أما الفصل الثاني المعنون "الخطاب الشعري" فهو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر يتمثل في قصيدة العلّة للشاعر العراقي أحمد مطر.

أما الفصل الثالث "الخطاب المثلي من المنطق إلى الحجاج" درس فيه مجموعة من الأمثلة العامية المغربية "فهو يرى أنّ الأمثال تتضمن مبادئ حجاجية عميقة وأن إيرادها في الخطاب والاستشهاد بها يكون لغايات حجاجية إقناعية"(3).

---

(1) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج ،ص8.

(2) أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ، ص 12.

(3)المرجع نفسه، ص84.

أما الفصل الرابع تحت عنوان "الخطاب الإشهاري: الصورة الإشهارية والحجاج الأيقوني" حلل فيه صورة إشهارية مؤكدا من خلالها أن "المكونات اللغوية والأيقونية يوظفان معا حجاجيا، وأنّ التكامل والتفاعل بينهما يهم الجوانب الإخبارية الإعلامية كما يهم الجوانب الإقناعية الاستدلالية"(1).

- وقد اعتمدت أغلب الدراسات المعاصرة على استثمار النظريات الغربية أو ترجمتها، ولعل أهم دراسة حديثة تؤسس لذلك كتاب "**أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**" وقد جمع عدد من المقالات لأهم النظريات الحجاجية المعاصرة، وهو ثمرة عمل جماعي شاركت فيه ثلة من الباحثين من خريجي الجامعات التونسية.

قدم رئيس وحدة البحث "حمادي صمود" عرضا موسوما بـ "مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح" أما النظريات فهي على التوالي: الحجاج عند أرسطو (هشام الريفي)، الحجاج أطره

ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج "الخطابة الجديدة" لبيرلمان وتيتيكاه (عبد الله صولة)، نظرية الحجاج في اللغة (شكري المبخوت)، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال مايير (محمد علي القارصي)، الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج (محمد النويري)(2).

2.2. عند الغرب:

أ. قديما:

بعد أن دحرت أثينا الفرس، وحفظت لليونان استقلالهم وعقليتهم، مضى هؤلاء يستكملون أسباب الحضارة بهمم جديدة، ونبغ فيهم العلماء والشعراء والفنانين والمؤرخين والأطباء والصناع، وقويت الديمقراطية في جميع المدن، وتعاظم التنافس بين الأفراد، فزادت أسباب النزاع أمام المحاكم والمجالس الشعبية، وشاع الجدل القضائي والسياسي، فنشأت من هاتين الناحيتين الحاجة إلى تعلم

(1) أبو بكر العزاوي، الخطاب و الحجاج، ص 111.

(2)ينظر فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود،كلية الآداب منوبة، تونس، مجلدxxxx ،1998م.

الخطابة وأساليب المحاجّة واستمالة الجمهور، ووجد فريق من المثقفين المجال واسعا لاستغلال مواهبهم، فانقلبوا معلمي بيان وناقدين ومحاورين ومن هؤلاء السفسطائيون(1) وأفلاطون وأرسطو ....الخ.

- **السوفسطائيون(*)**:

مثل السفسطائيون حلقة طبيعية من حلقات تطور الفكر اليوناني القديم، فكانوا صورة دقيقة عما كان يفتعل في النفس اليونانية في ذلك الحين.

وقد ارتبطت جهود السوفسطائيون بالفلسفة والأخلاق والخطاب والجدل والأدب والنقد، واعتبروا رواد النزعة الإنسانية في حياة الإغريق، فقد حققوا للفرد الحرية الفكرية والاستقلال الذاتي. كما أوجدوا نهضة فكرية لا سبيل إلى إنكارها. نشروا التعليم في أرجاء اليونان وهيؤوا الأفكار للبحث والمناقشة في فروع المعرفة، ووجّهوا اهتمام الناس إلى دراسة اللغة وعلومها المتعددة من نحو وصرف وقواعد وبيان، لأنهم كانوا يعتبرون البحوث اللغوية أصلا للدراسة الأدبية(2)

كان السوفسطائيون يمارسون سلطة الحجاج حينئذ ويقتصدون بذلك إلى الحصول على السّلطة وكانوا يعلّمون الشباب من ذوي اليسار مسالك الاقتدار على الخطابة ويهيئونهم بذلك للسلطة، وعلى ذلك كانوا يتقاضون مالا وفيرا حسب ما ذكر بعض الدارسين، والسفسطائي كان يشتغل عموما بالتعليم فمما قال "بروتاغورس": أوافق على أني سوفسطائي ووظيفتي هي تعليم الناس(3).

وقد تمكن السوفسطائيون من إقناع صفوة المجتمع آنذاك بضرورة تلقي دروس في هذا المجال، إن كانوا يرغبون في امتلاك أسباب السلطان، ما دام ذلك لا يحصل بغير سطوة اللسان، ولازال

---

(1) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، راجعته ونقحته هلا رشيد أمّون،دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع،ص58.

(*)إن السفسطة في أصل معناها اللغوي .... تفيد"الحكمة" وبالتالي يكون السوفسطائي ... هو المنسوب للسفسطة أي الحكيم: أنظر رشيد الرضي، الحاج المغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار،دار الكتب الجديدة المتحدة بيروت ،لبنان ،ط1، 2010 ،ص 12.

السفسطائيون تيار فكري ظهر في العالم الإغريقي وقوي بأثينا في القرن الخامس قبل الميلاد، والصفة سوفيستاس (...) كانت في الأصل لقب تقدير، وهي تعني في معناها الاشتقاقي: الحكيم والرجل ذا الكفاءة المتميزة في كل شيء" أنظر هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم،ص 54.

(2) عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثاني هجري ،ص146.

(3) هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 61.

الباحثون إلى اليوم يعترفون للسوفسطائيين بالدور الكبير في تطوير الخطابة والبلاغة ويعدّونهم أساتذتها المبّرزين(1). وكان ذلك يكون محمودا لو أنهم وقفوا موقفا صحيحا في تعليم البلاغة، وخدموا بها الحقيقة حيث كانت، لكنهم قصدوا إلى تعليم الشباب كيف يخدمون الفكرة كائنة ما كانت وعلى أي وجه كان بالحق أو بالباطل، فكان شأنهم شأن محام يخدم قضية من أي سبيل، حتى روى عن أحدهم "جورجياس" أنه قال: "ليس من الضروري أن تعلم شيئا عن الموضوع لتجيب، وقال إن في استطاعته أن يجيب كل سائل عن كل ما يسأل". لذلك كانوا يعملون كيف يكسبون خصومهم بكل الوسائل، باللعب بالألفاظ، بالاستعارات والكنايات الجذابة، بخداع المنطق وتمويه الحقيقة ومن أجل ذلك سمي اللعب بالألفاظ والتهريج في الحجج "سفسطة" اشتقاقا من السوفسطائيين(2).

كان السوفسطائيون مجادلين مغالطين وكانوا متجرين بالعلم، أما الجدل فقد وقفوا عليه جهدهم كله. خرجوا من مختلف المدارس الفلسفية، لا يرمون لغير تخريج تلاميذ يحذقونه وكانوا يفاخرون بتأييد القول الواحد ونقيضه على السواء، وبإيراد الحجج الخلابة في مختلف المسائل والمواقف، ومن كانت هذه غايته فهو لا يبحث عن الحقيقة، بل عن وسائل الإقناع والتأثير الخطابي، ولم يكن ليتم لهم غرضهم بغير النظر في الألفاظ ودلالتها، والقضايا وأنواعها، والحجج وشروطها، والمغالطة وأساليبها(3). ويؤكد ذلك فتحي التريكي بقوله: "فقد كان القول قبلهم متصلا اتصالا وثيقا بالأسطورة... ولكن السوفسطائية أعطت اللوغوس مفهوما آخر، فقد أصبح الكلام متموجا ومتذبذبا ومختلفا، بعدما كان موحّدا للحقيقة ومقدّسا للمعرفة، بل أصبح فتّانا ومضللا وخادعا، فهو يغري الشباب ويضللهم، ولم يعد ينطوي الكلام على الحقيقة فقط بل أصبح أيضا أداة إقناع واقتناع، تحملك على الاعتقاد والظّن بشتى الوسائل من دون أن تعير اهتماما للحق والباطل، ولهذا لم يعد المرء

(1) رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ص 13.

(2) أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1935م، ص 94.

(3) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ، ص 58.

يقتصر على الاستماع ليتعلم، ويتصل بالحقيقة، أصبح يفسر الكلام ويؤوله وينسقه ويميز فيه الحقيقة عن الباطل" (1).

فبالتعليم كان السفسطائيون ينشرون بأثينا نوعا من ممارسة الحجاج.

يتضح مما سبق أن السوفسطائيين اعتمدوا على التأثير في المتلقي وإقناعه بكل الطرق بالتلاعب بالألفاظ والهروب من الحقيقة وبخداع المتلقي وإيهامه، لهذا عرفت السفسطة بأنها نوع من الحجاج يعرف بالحجاج المغالط (الحجاج الخاطئ، الحجاج الزائف) القائم على أساليب تضليلية كما أشار إلى ذلك أفلاطون في محاوراته.

- **أفلاطون:**

لم يترك أفلاطون مجالا من مجالات العلم والمعرفة، إلا وحاور فيه وقسمه وأعطى له تعريفا جدليا وبرهانا عقليا. كان هدفه الأول والأخير هو معرفة الحقيقة والإيمان والالتزام بهما، لقد كتب أفلاطون ما مجموعه ثمان وعشرون محاورة، ومع ذلك فإن هذه المحاورات الثماني والعشرين تعتبر أصل كل فكر عالمي حق؛ إنها الينبوع الذي استقى منه كل مفكر خلاق، والمصباح الذي أنار الطريق لكل عقل إنساني(2).

لم يكن إيثار أفلاطون للحوار عبثا، ولكن معاصر السوفسطائيين وتلميذ سقراط تأثر بالجدل واعتقد مع أستاذه أن الحوار بمرحلتيه هو الطريق الوحيد للبحث في الفلسفة، فاصطنع الجدل، بل تحدى السوفسطائيين، فنقل اللفظ من معنى المناقشة المموهة إلى معنى المناقشة المخلصة التي تولد العلم، وهي مناقشة بين اثنين أو أكثر أو مناقشة النفس لنفسها، وحدّ الجدل بأنه المنهج الذي به يرتفع العقل من المحسوس إلى المعقول، دون أن يستخدم شيئا حسيا، بل الانتقال من معان إلى معان بواسطة معان، وبأنه العلم الكلي بالمبادئ الأولى والأمور الدائمة(3).

(1) الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص 13.

(2) أفلاطون، المحاورات الكاملة، نقلها إلى العربية شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، المجلد الأول، 1994م، ص 11.

(3) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص86.

أي أن أفلاطون اعتمد المنهج القائم على الحوار والمناقشة بواسطة السؤال والجواب بين عدّة أطراف حول تحديد مفهوم الجدل والخطابة ومن هنا تجسدت ممارساته الحجاجية.

وقد اخترنا محاورتين شغل فيهما أفلاطون بالرد على السوفسطائيين ودحض حججهم وهدم فلسفتهم هما: "جرجياس" و"فيدر".

في محاورة "جرجياس" بحث في موضوع الخطابة ووظيفتها: أما البحث في الموضوع فهو عنده بحث في مدى شرعية قيام هذا القول، أما البحث في الوظيفة فهو بحث فيما يقدمه هذا القول للإنسان في المدينة[1].

وفي المقطع الأول من هذه المحاورة فحص موضوع الخطابة في ضوء المقابلة علم /ظن وذكر أن الإقناع نوعان: إقناع يعتمد العلم وإقناع يعتمد الظنّ ،وهذا الثاني أي الإقناع بالظنّ هو موضوع الخطابة السوفسطائية في رأيه، ولما كان العلم يقوم على مبادئ، صادقة وثابتة بل أزلية كان الإقناع المعتمد عليه مفيدا يكتسب منه الإنسان معرفة، ولما كان الظنّ يقوم على "الممكن" و"المحتمل" كان الإقناع المعتمد عليه غير مفيد حسب أفلاطون فهو لا يكسب الإنسان معرفة بل ينشيء لديه اعتقاد.

وفي المقطع الثاني من المحاورة قيّم أفلاطون وظيفة الخطابة في ضوء المقابلة خير/ لذّة ونزل تقييمه لهذه الممارسة القولية[2]. في إطار تصوره لما يحقق سعادة الإنسان فقد ذكر أن هناك صنائع أربع تحقق الخير للإنسان جسمه ونفسه.

واستعرض نوع الخير الذي تحققه كل واحدة منها، فالإنسان واقع في هذا التصور بين صنائع حق تحقق له فعلا الخير وممارسات متقنعة مقنعة تتمتع بغيرها من الصنائع وتقنع من الإنسان أحد بعديه.

(1) هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو ضمن أهم نظريات الحجاج في التقليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 62.
(2) المرجع نفسه، ص 63.

والخطابة عند أفلاطون هي قول إقناع، قول خدعة ومقصده هو حينئذ تخليص الإنسان من هذا القول الذي يتهدده.

وجعل أفلاطون "الممارسات" التي ذكرها تحت اسم جامع هو "التملق" وفي هذه الكلمة دلالة مزدوجة تكشف عن حكمه على القول الخطبي، فكلمة "تملق" تفيد اللّذة والخداع[1].

ففي عمق محاورة "جرجياس" استثار أفلاطون مسألة الحجاج والسياسة، وفي أفق المحاورة ذكر سمات القول الخطبي الذي يريده أن يكون وهي سمات حجاج وسياسية[2].

ونظرا إلى أهمية القول الحجاجي في البحث الفلسفي من ناحية وفي التعامل القولي بين الإنسان والإنسان من ناحية أخرى أفرد أفلاطون له محاورة ثانية بعنوان "فيدر" وفيدر شابا كان مفتونا بالقول ودافعا في الكثير إلى إنشائه ولذلك استحضره في هذه المحاورة التي تدور في بعض مستوياتها على القول وفتنته.

ولم تكن المحاورة مجادلة للسوفطائيين في تصورهم للخطابة وإنما كانت "معارضات" و "موازنة" وكانت نشرا للأصول التي كان هذا الفيلسوف يعتمدها في دراسة النصوص الحجاجية عموما[3].

وهكذا ففي "جرجياس" جادل " أفلاطون" السوفسطائيين في موضوع الخطابة ووظيفتها وفي "فيدر" درس نصا من نصوصهم الحجاجية، وكان المستوى الذي اهتم به في المحاورتين واحدا: منطلق الحجاج ومقصده في ضوء قيمتي "الحق" و"الخير"[4].

نستخلص من هاتين المحاورتين أن تصور أفلاطون للحجاج ينطلق من الخطابة، فالجدل عنده يعتمد على الحق والخير على عكس الحجاج السوفسطائي القائم على الممكن أو المحتمل والذي يعتبره حجاجا مخادعا لا أساس له من الصحة.

(1) هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص 64.
(2)المرجع نفسه ،ص 66-67.
(3) المرجع نفسه ، ص 68.
(4) المرجع نفسه، ص 71.

- **أرسطو:**

واقتفاء بالأثر نفسه رفض أرسطو العديد من الأساليب والمغالطات السوفسطائية ودعا إلى بلاغة يكون مركزها الحجاج واهتم فيها بمختلف أطراف العملية التواصلية، ويعد كتابه الخطابة أقدم كتاب اهتم بالإقناع وأدواته.

ينطلق أرسطو من كون الخطابة "إنّما هي الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع"(1).

وقد عرفها بقوله: "فالريطورية(*) قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"(2).

إنّ الخطابة عند أرسطو صناعة مدارها إنتاج قول تبنى به الإقناع في مجال المحتمل والمسائل الخلافية القابلة للنقاش بمعنى أنها علاقة بين طرفين تتأسس على اللغة والخطاب،، يحاول أحد الطرفين أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله أو يثبت لديه اعتقادا أو يمليه عنه أو يصنعه له صنعا(3).

كما حدد العناصر التي تنبني عليها صناعة الخطابة وهي:

- وسائل الإقناع أو البراهين.
- الأسلوب أو البناء اللغوي.
- ترتيب أجزاء القول(4).

أما عن دراسة أرسطو للحجاج فقد تأسست على دعامتين كبيرتين: الأولى يختزلها مفهوم الاستدلال، والثانية تقوم على البحث اللغوي الوجودي.

---

(1) قالط بن حجي العنزوي، التداولية في التفكير البلاغي دراسة في "غرر البلاغة" لهلال بن المحسن الصابي، ماجستير في النقد والأدب، العربية السعودية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الفرع الثاني: جدار الكتب العالمي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014م، ص 3.

(*)اقترح محمد العمري ترجمة الريطورية الأرسطية بكلمة خطابية قياسا على كلمة شعرية التي بسطت سلطتها في مجال التخييل، موضوع الأولى الخطابة بمعناها العام،وموضوع الثانية الشعر بمعناه العام .أنظر محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق ،المغرب،2005م،ص13.

(2) أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، حققه وعلق عليه عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت دار القلم، بيروت، لبنان، 1979م، ص 8.

(3)حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 12.

(4) محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 20.

ففيما يتعلق بمفهوم الاستدلال نلاحظ أنه يحمل شحنه منطقية صورية، فهو عند أرسطو تفكير عقلي بواسطته يتم إنتاج العلم. لكن هذا الاستدلال لا ينطلق من الفراغ، بل من معارف سابقة أهمها المبادئ والتعريفات، أو حتّى مسلّمات شائعة.

من هنا كان تركيز أرسطو على أكثر صور الاستدلال أهمية والمتمثلة في الصور القياسية... فهو يعرفه بأنه قول مؤلف من أقوال إذا سُلّم بها لزم عنها بالضرورة قول آخر[1].

إنّ لب خطاب الحجاج مركب من استدلال يقدمه أرسطو فيما يشبه البرهان (demonstrationquasi) وهناك نوعان ممكنان فقط من الاستدلال: المثال (lexemple) والقياس المضمر (lenthymeme)،ويعني الحجاج بالمثال الاعتدال على حالة أو أكثر شبيهة بتلك التي نود الإقناع بها وذلك لاستنباط الدقة أو المشروعية. وكان القياس المضمر أيضا بالنسبة لأرسطو نوعا من القياس المؤلف (syllogisme) الذي ينتمي لقابلية الصواب وفي هذه الحالة يكون الانطلاق من مقدمة ما بهدف استنتاج فكرة جديدة ومختلفة لكنها ناتجة بالضرورة من تلك المقدمة[2].

أما الدعامة الثانية من دعائم الحجاج الأرسطي فتتمثل في البحث اللغوي في علاقته بالإنسان والوجود، فقد أكد أرسطو أنّ الإنسان لا يحيا إلاّ باللغة وأن إدراكه لذاته ولوسطه رهن بمدى وعيه للغة، ويلخص (أوبانك) تصور أرسطو في قوله: "...إنّ اللغة ليست ضرورية للتعبير عن الشيء فحسب، بل هي ضرورية أيضا في بنائه[3].

فرّق أرسطو بين ثلاثة أنواع من الأدلة التي يصنعها خطاب الحجاج موضوع التنفيذ تلك التي تعتمد على شخصية الخطيب (lethos)، وتلك المعتمدة على محتوى الخطاب ذاته (le logos) وأخيرا تلك المعتمدة على مشاعر المتلقي (le pathos)[4]. ويؤكد ذلك قوله: "فأما التصديقات التي نحتال لها

---

(1)محمد سالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ، ص 36-37.

(2) فليب بروتون، جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي،ج1،ط1، 1432هـ/2011م، ص 32-33.

(3) محمد سالم محمد الأم طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة ،ص 40.

(4) فيليب بروتون، جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص 32.

بالكلام فإنها أنواع ثلاثة: فمنها ما يكون بكيفية المتكلم وسمته، ومنها ما يكون بتهيئة السامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت"[1].

والنوعان الأولان يختصان بالجانبين الأخلاقي (أخلاق الخطيب) والانفعالي (انفعال المتلقي) أما النوع الثالث يختص بالجانب العقلي (الاستدلال المنطقي)[2]كما فرق بين نوعين من الحجاج :

-**الحجاج الجدلي**: من قبل ما عرض له في كتابه "الطوبيقى" (ومعناه المواضع أي مواضع القول) ومداره على مناقشة الآراء مناقشة نظرية محضة لغاية التأثير العقلي المجرد.

- **الحجاج الخطابي**: من قبيل ما عرض له في كتابه الخطابة وهو حجاج موجه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة في مقامات خاصة-والحجاج ههنا ليس لغاية التأثير النظري العقلي وإنما يتعداه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والانفعالات وإلى إرضاء الجمهور واستمالته[3].

- **مراحل إنتاج القول الحجاجي عند أرسطو**:

المراحل الأساسية لإنتاج القول الحجاجي عند أرسطو ثلاثة ،وقد رتبها بحسب تتاليها في زمن الإنشاء على النحو الآتي:

- **المرحلة الأولى**: سماها (euresis) وتعرف في اللاتينية (inventio) وهي مرحلة البحث عن مواد الحجاج ولم يستعمل الشراح من فلاسفة العرب كلمة مخصوصة توافق المصطلح الأرسطي، أما بدوي فاستعمل في ترجمته عبارة (مصادر الأدلة).
- **المرحلة الثانية**: سماها أرسطو (taxis) وتعرف في اللاتينية (dispositio) واستعمل الشرّاح من فلاسفة العرب كلمة "ترتيب" مقابلا لها ،أما بدوي فاستعمل عبارة "ترتيب أجزاء القول".

---

(1) أرسطو طاليس، الخطابة، ص 09.

(2) قسم أرسطو كتابه في الخطابة إلى ثلاثة أقسام: فالكتاب الأول من الخطابة هو كتاب مرسل الرسالة أي كتاب الخطاب، عالج بوجه خاص مفهوم البراهين بحسب تعلقها بالخطيب ومدى انسجامه مع الجمهور، وذلك حسب أنواع الخطابة الثلاثة المعروفة القضائية والاستشارية والاحتفالية، والكتاب الثاني هو كتاب متلقى الرسالة، كتاب الجمهور عالج فيه عددا من الانفعالات، والأهواء، وكذا بعض البراهين غير أنها هذه المرة بحسب تلقيها وليس بحسب تصورها كما سلف، والكتاب الثالث هو كتاب الرسالة نفسها وعالج فيه الأسلوب أو البيان أي الصورة البلاغية وترتيب أجزاء القول. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 22.

(3) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائص الأسلوبية، ص 18.

- **المرحلة الثالثة:** سماها أرسطو (lexis) وتعرف في اللاتينية (elocutio)،ولقد استعمل ابن رشد كلمة (فصاحة) مقابلا لها ،واستعمل ابن سينا العبارة (التحسينات) واختار الألفاظ للتعبيرات، أما بدوي فاستعمل كلمة (أسلوب).

وأضاف أرسطو إلى المراحل الثلاثة السابقة مرحلة رابعة سماها (hipocrisis) وتعرف في اللاتينية (actio) واستعمل ابن سينا في مقابلها "الأخذ بالوجوه والنفاق"، وعلى أن كلمة (hipocrisis) في الإغريقية ليس فيها معنى تهجيني، وكانت تستعمل في المسرح وتدل على تقمص الممثل للشخصية التي تؤدي دورها، أما ابن رشد فاستعمل في مقابل المصطلح الأرسطي عبارة "الأخذ بالوجوه".

وقال في تفسيرها "قبل أن نقول في الألفاظ فينبغي أن نقول في الألفاظ المستعملة مع الألفاظ على جهة المعونة في جودة التقسيم وإيقاع التصديق وبلوغ الغرض المقصود وهي التي جرت عادة القدماء أن يسموها الأخذ بالوجوه..."[(1)].

نستنتج أن الحجاج في الفلسفة اليونانية نشأ نتيجة الخلاف والصراع الذي كان بين الفلاسفة والسوفسطائيين في صناعة القول، هذا الخلاف بدأه أفلاطون وأستاذه سقراط وتبعهم في ذلك أرسطو وواصله الفلاسفة من بعدهم وعلى رأسهم "ديكارت".

ب. حديثا:

أضحت الدراسات الحجاجية خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين حقلا مستقلا تجلى في الأبحاث التي اشتغل على بنائها مجموعة من الباحثين منذ الخمسينات[(*)]، ويتعلق الأمر تمثيلا لا حصرا: الخطابة الجديدة عند بيرلمان وتيتيكاه، والنموذج التدليلي التحليلي عند تولمين، والتداوليات المدمجة (اللسانيات الحجاجية) عند ديكرو، والنموذج الاستشكالي عند مايير التي سنعرض لها فيماياتي:

(1) هشام الريفي، الحجاج عند أرسو، ص 173-174.

(*)منهم بيرلمان، وتيتيكاه، تولمين، مايير، شار ولارد، جون بليز غريز، بارت كراب، ديكرو.

- **بيرلمان وتيتيكاه:(ch.perelman-o.tyteca)**

يعتبر "مصنف في الحجاج—الخطابة الجديدة" وهو عمل مشترك بين بيرلمان وتيتيكاه من أشهر الكتب التي اهتمت بقضايا الحجاج حيث نشر عام 1958.

إن أهم غاية يرمي إليها هذا الكتاب-حسب عبد الله صولة-هي إخراج الحجاج الذي هو عند المؤلفين سليل الخطابة والجدل معا، من دائرة الخطابة والجدل الذي ظل لفترات طويلة في القديم مرادفا للمنطق نفسه، فالباحثان قد عملا من ناحية أولى على تخليص الحجاج من التهمة اللائطة بأصل نسبه وهو الخطابة، وهذه التهمة هي تهمة المغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور وبعقله أيضا، ودفعها دفعا إلى القبول باعتباطية الأحكام ولا معقوليتها.

وعمل الباحثان من ناحية ثانية على تخليص الحجاج من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع واستلاب.فالحجاج عندهما معقولية وحرية،وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة[1]. والحجاج في نظرهما يتجاوز النظر فيما هو حقيقي مثبت محدد إلى تناول حقائق متعددة ومتدرجة، فمبعثه —إذا-هو الاختلاف، وشرطه أن يقوم على موضوعية الحوار، حيث يقف فيه الآخر المحاجج موقف الشريك المتعاون لا موقف الخصم العنيد[2].

لقد عرّفا بيرلمان وتيتيكاه الحجاج تعريفات عدة في مواضع مختلفة من كتابهما أهمها قولهما: "موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التّسليم بما يعرض عليها من أطروحات أوأن تزيد في درجة ذلك التسليم[3].

وقولهما في موضوع آخر متحدثين عن الغاية من الحجاج: "غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها من آراء، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان. فأنجع الحجاج ما وفق في جعل

---

(1) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة"ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أسطو إلى اليوم، ص 298.

(2) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم، ص 107.

(3) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية، ص 28.

حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين للقيام بذلك في اللحظة المناسبة"(1).

وإلى جانب هذا التحديد نجده يقسم وظائف الحجاج إلى:

أولا: الإقناع الفكري الخالص.

ثانيا: الإعداد لقبول أطروحة ما.

ثالثا: الدفع إلى الفعل(2).

أي أن الحجاج يهدف إلى التأثير هذا التأثير ناتج عن استخدام العقل والإدراك لما يحيط بالمتلقي من حجج وليس الإيهام والتضليل كما عند السوفسطائيين وهذا الجانب متعلق بالجدل ثم تهيئة السامع لتقبل قضية معينة من أجل دفعه إلى العمل وهذا متعلق لدى بيرلمان بالخطابة.

اقترح بيرلمان سلسلة من التعريفات لماهية الحجة، الحجة بالنسبة له هي صورة خطابية(figure du dixours)، "يمكن تمييز شكلها بواسطة بنية خاصة [...]. إنّ صورة ما تكون حجاجية إذا كان استخدامها، الذي يحدث تغيير في الموضوع، يظهر عاديا بالنسبة للوضع الجديد المقترح، وعلى العكس، إذا لم تؤد الصورة إلى موافقة المتلقي، فإنها تكون حينئذ تجميل، أي صورة أسلوبية فقط"(3).

أي أنّه يميّز بين الصورة الحجاجية والصورة الزخرفية الغير حجاجية

ويقسم المؤلفان الحجاج إلى قسمين بحسب نوع الجمهور هما:

- **الحجاج الإقناعي** : وهو يرمي إلى إقناع الجمهور الخاص.
- **الحجاج الاقتناعي**: هو حجاج يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل فهو عام(4).

(1) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية ،ص28.

(2) محمد سالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 107.

(3) فيليب بروتون، جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص 46.

(4) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 301.

ويتميز الحجاج عند بيرلمان بخمسة ملامح رئيسية:

- يتوجه إلى مستمع.
- يعبر عنه بلغة طبيعية.
- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.
- لا يفتقر تقدمه(تناميه) إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
- أن تكون نتائجه غير ملزمة[1].

لقد حصر بيرلمان وتيتيكاه أشكال الحجاج وبناه في تقنيتين حجاجيتين هما: طريقة الوصل من ناحية وطريقة الفصل من ناحية أخرى.

والمقصود عندهما بطرائق الوصل أو الطرائق الاتصالية، الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة في أصل وجودها فتتيح بذلك ضرب من التضامن بينها لغاية إبراز تلك العناصر في بنية واضحة ولغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويما إيجابيا أو سلبيا.

أما طرائق الفصل أو الطرائق الانفصالية، فهي تلك الطرائق التي تقوم على الفصل بين عناصر تقتضي في الأصل وجود وحدة بينها ولها مفهوم واحد. فهي عناصر راجعة إلى اسم واحد يعيّنها. وإنما وقع الفصل بينها وعمد إلى كسر المفهوم الواحد الذي يجمع بينها لأسباب دعا إليها الحجاج[2].

- **تولمين(toulmine)**:

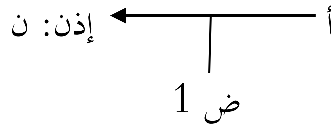
يتضح مفهوم الحجاج عند تولمين من الرسوم الحجاجية المختلفة التي صاغها في كتابه: "استخدامات الحجاج" الذي يهدف إلى دراسة الأدوات الحجاجية في الاستخدام العادي للغة.

الرسم الأول: وفيه نجد الرسم الحجاجي ذات ثلاثة أركان أساسية هي المعطي (م) والنتيجة (ن) والضمان (ض). ويصاغ نظريا على النحو التالي:

---

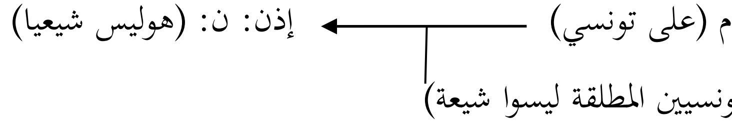
(1) محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، ص 220.

(2) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية، ص 32.



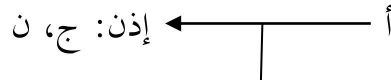
نظرا إلى أن:

والمثال عليه وهو من عندنا منسوجا على مثال له:



نظرا إلى أن:ض (أغلبية التونسيين المطلقة ليسوا شيعة)

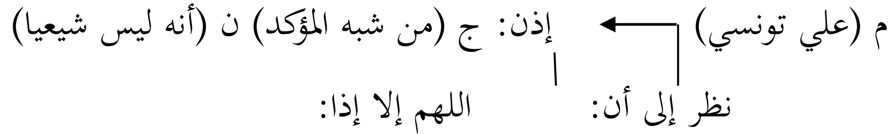
الرسم الثاني: هو تدقيق للرسم السابق بأن أضيف إليه عنصران هما عنصر الموجّه (laqualificateurmodal)ونصطلح عليه بـ (ج) وعنصر الاستثناء (س) الذي يمثل شروط رفض القيمة، فأصبح كالتالي:



نظرا إلى أن:		اللهم إلا إذا:

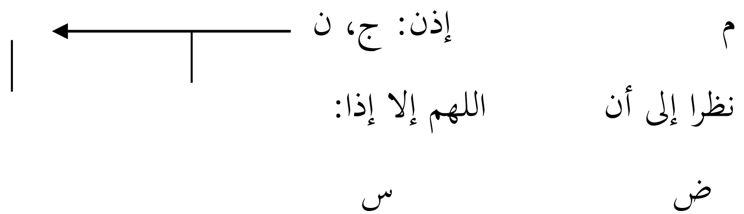
ض 1	س (2)[1].

والمثال على ذلك وهو تطوير للمثال السابق:



ض (أغلبية التونسيين المطلقة ليسوا شيعة)		س (تشيّع أثناء دراسته بجامعات إيران)

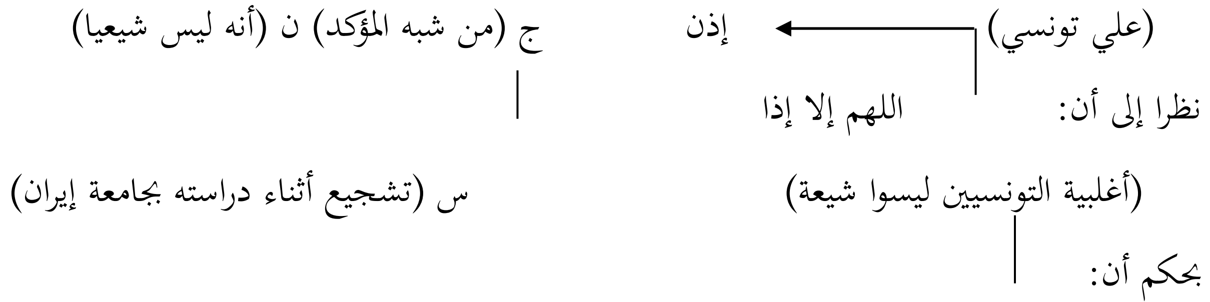
الرسم الثالث: وفيه مزيد تدقيق بإدخال عنصر الأساس (أ) الذي يبني عليه الضمان (ض) فيكون الرسم كالتالي:



(1) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائص الأسلوبية، ص 22-23.

بحكم أن:أ (1)[1].

والمثال عليه:



(نسبة الشيعة لا تكاد تذكر في تونس) (قد تكون أقل من 1٪ وهو إحصاء تقريبي)[2].

- **ديكرو، وأنسكمبر: (oswaldducrot-jean claudeanscombre)**

عرضا مفهوم الحجاج وآلياته من خلال كتابهما (largumentation.dans.lalongue) سنة 1973، وهو يختلف عن المفهومات السابقة، لأنه حجاج لساني لغوي بحت، وقد حصراه في اللغة ودراستها، دون الاهتمام بما هو خارجها و"يكون بتقديم المتكلم قولا (ق1) يفضي إلى التسليم بقول آخر (ق2) (...) فهو إنجاز لعمليتين، هما: عمل صريح بالحجة من ناحية، وعمل بالاستنتاج من ناحية أخرى، سواء أكانت النتيجة مصرّحا بها أم مفهومة من (ق1)"[3].

فنظرية الحجاج في اللغة التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي "ديكور" نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها أننا نتكلم عامة بقصر التأثير[4].

(1) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية، ص 24.

(2)المرجع نفسه، ص 25.

(3) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 111.

(4) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص14.

وقد جمع أبو بكر العزاوي المباديء التي تقوم عليها النظرية فيما يلي:

- الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج.
- المكون الحجاجي في المعنى أساسي والمكون الإخباري ثانوي.
- عدم الفصل بين الدلاليات والتداوليات والدعوة إلى فرضية التداوليات المدمجة(1).

يميز ديكرو معنيين للفظ الحجاج هما، المعنى العادي والمعنى الفني.

- **الحجاج بالمعنى العادي**: يعني الحجاج في معناه العادي مجموعة من الترتيبات والاستدراجات التي يستعملها المتكلم في الخطاب قصد إقناع سامعيه، وتعتبر المظاهر الخاصة بالحجاج أثرا من آثار الخطاب ولا يبحث لها عن صلة باللغات الطبيعية، وفي هذا الإطار يندرج الحجاج ضمن ما يسمى تحليل الخطاب.
- **الحجاج بالمعنى الفني**: يعني الخطاب بالمعنى الفني صنفا مخصوصا من العلاقات بين المضامين الدلالية تتحقق في الخطاب وتكون مسجلة في اللسان. وتتميز العلاقة الحجاجية بكونها درجية أي إنها تربط سلالم(2).

قدّم "ديكرو" إلى جانب ذلك تحليلا سمّاه (آلية المعنى) بين من خلاله أن الجملة في اللغة تدرس بالمكون اللغوي (اللساني) الذي يخصاه بالدلالة، ثم تعالج هذه الدلالة بالمكون البلاغي الذي يخصاه بمعنى؛ هو معنى الملفوظ.

ويقوم المكون البلاغي بدورين: الأول أن يعطي مخرجا أوليا تمهيديا للمعنى، والثاني أن يقابل هذا المعنى الأولي بجديد السياق الملفوظي، ممّا يفرض معرفة قوانين الخطاب(3).

---

(1) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 55. 56.

(2) جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الباحثين والأساتذة ،إشراف عز الدين المجدوب، منشورات دار سيناتارا، المركز الوطني للترجمة تونس، سلسلة اللسان،2010م، ص93.

(3) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، ص 111.

لقد اشتغل تحديدا على ظواهر مرتبطة مباشرة بالملفوظ الحجاجي. يبين "ديكرو"أن بنية الملفوظ اللسانية الداخلية، وأن استعمال الروابط الإشارية والموجهات تحديدا، كل ذلك يمنح أدوارا مخصوصة لعناصر الملفوظ الأخرى(1).

فالملفوظات تختص، بقطبية حجاجية أي بكفاءة في الدخول إلى محمل لغوي موجه نحو استنتاج دقيق.

إن أعمال "أوزفالد ديكرو" و"جون كلود أنسكمبر" تتميز عن النظريات التداولية الأخرى بمصادرة مخصوصة: إنهما يعتبران أن هذه القطبيات الحجاجية ليست مضافة إلى الملفوظ ولكنها مسجلة في اللغة بوصفها أساسا لكل دلالة. إن الحجاج في نظر هذين اللسانين لم يعد نشاطا لسانيا من بين أنشطة أخرى، ولكنه أساس المعنى نفسه وأساس تأويله في الخطاب، ولذلك يصادر ديكرو على وجود مواضع(*) في كل لسان من صنف: كلما كان س، كان ص، أو كلما لم يكن س، لم يكن ص، الذي يقيد الاستعمال الحجاجي للغة(2).وبذلك فإنّ ديكرو أكد في رؤيته الحجاجية على أمرين الوظيفة الحجاجية للبنى اللغوية وإبراز سمة الخطاب التّوجيهية أي توجيه المتلقي وجهة واحدة دون سواها (يفرض على المخاطب نتائج معينة).

ارتبطت فكرة الحجاج لدى ديكرو أساسا بمفهوم السلم الحجاجي الذي تشكل الروابط المنطقية (أو العلامات اللسانية) درجاته، وهذه العلامات هي عبارة عن مداخل معجمية، لها خصائص جوهرية في القول تربط بين سلم حجاجي موجه نحوكم معين، وبين سلم موجه نحو أنواع النتائج المطلوبة، فالسلم الأول يوافق ما هو كمي، والثاني يوافق ما هو حجاجي(3).

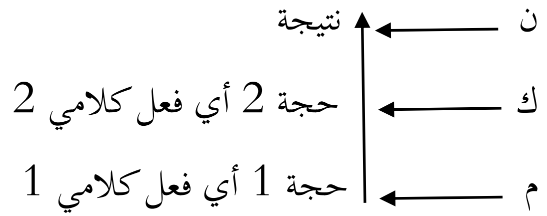
(1) نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص 108.

(*)الموضع: مصطلح يستخدمه "ديكرو" ويعني به فكرة مشتركة مقبولة لدى جمهور واسع وعليها يرتكز الاستدلال في اللغة. وتتطلب العلاقة الحجاجية وجود موضع بين الحجة والنتيجة. أنظر محمد سالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 196.

(2) صابر الحباشة، لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، اللاذقية، ط1، 2010م، ص 246.

(3) عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص 84.

إن السلم الحجاجي لدى ديكرو هو فئة حجاجية موجّهة، فهي أولا تمثل السلم الحجاجي المحدد بنتيجة (ن) والحجج (م وك)، وهي ثانيا تعمل على تناسب القوة الحجاجية للقول انطلاقا من العلاقة اللسانية (أو الرابط الحجاجي) الذي يجمع بين فعلين كلاميين (حجاجيين) وهي على الشكل التالي:[1].



- **مايير michelmay)**

يقوم الحجاج عنده على الصريح والضمني.

عرف مايير الحجاج بقوله: "هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيّه"[2].

كما يعرف اللوغوس (أي القول الحجاجي) بأنه كلام العقل الذي يدرك نفسه في كل أبعاده دون أن يحده اتجاه مخصوص، "إن اللغة هي العقل المتكلم"[3].

أي الحجاج عنده يقوم على ركنين ،ركن العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه ،وركن اللغة.

وظف مايير مفهومين يقوم عليهما الحجاج هما المصرح به والضمني"فالمصرح به هو ظاهر السؤال أما ماهو ضمني فتلك الإمكانات المختلفة للإجابة عن السؤال الواحد"[4].

فالمصرح به هو السؤال المطروح والضمني هو الإجابة المنتظرة.

---

(1)عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج، ص 85.

(2) عبد الله صولة،الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية، ص 39.

(3) عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص 206.

(4) محمد علي القارصي ، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال مايير ،ص394-395.

والضمني عنده "هو الذي يوجد في معنى الجملة الحرفي شارة حجاجية تؤدي إلى ظهوره وفق ما يمليه المقام وتلوّح بنتيجة ما تكون مقنعة أو غير مقنعة"(1).

إن آراء مايير في الحجاج متصلة بتحديده طبيعة الكلام ووظيفته التداولية: لما كان الكلام إثارة للسؤال أو استدعاء له، لزم أن يتولد عن ذلك نقاش يولد بدوره حجاجا، فالحجاج لديه محايث لاستعمال الكلام، لأن الكلام يتضمن بالقوة سؤالا يستمد منه دلالته ، إن الحجاج متعلق لدى مايير بنظرية المساءلة وهو يشتغل باعتباره ضرورة تؤدي إلى نتيجة أو موقف تحمل الغير على اتخاذه إزاء مشكل مطروح في سياق يوفر للمتخاطبين مواد إخبارية ضرورية للقيام بعملية الاستنتاج المتصل بالزوج سؤال /جواب (2).

إنّ الحجاج عند الغرب ينحدر من روافد كثيرة أهمها خطابة أرسطو، وهو بهذا عريق الجذور، غير أنه شهد خلال العصر الوسيط وعصر النهضة تحت تأثير التقاليد المدرسية، انحسارا شديدا بسبب اهتمام البلاغة آنذاك بالصور الجزئية والمحسنات التزيينية، حتى جاء البلاغيون الجدد في منتصف القرن الماضي وأعادوا إلى البلاغة مكانتها بانبعاث بلاغة أرسطو من جديد، وتجاوزها إلى مناظير أخرى أعادت صياغة نظرية الحجاج في معناها الجديد أو ما يسمى "بالبلاغة الجديدة"(3).

ومن هذا المنظور سوف نفرق بين أربعة فترات مهمة هي:

- **فترة التأسيس**: وهي مرحلة الكتابات الأولى في البلاغة وتعليم الكتّاب الذين كانوا يعدون المرافعات عن المتهمين وللشاكين. وهذه المرحلة تتزامن مع التعليم السوفسطائي، كما أنها الفترة التي ترسخت فيها الديمقراطية اليونانية، وتمتد هذه الفترة من منتصف القرن الخامس وحتى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، أي أنها تمتد قرنا من الزمان.

---

(1) عبد الله صولة الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية ،ص37.

(2) محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال مايير، ص 394.

(3) قالط بن حجي العنزوي، التداولية في التفكير البلاغي دراسة في "غرر البلاغة" لهلال بن المحسن الصابي،ص3.

- **فترة النضج**: وهي أوج فترةأرسطو–وقد قام هذا الفيلسوف الكبير العملية قطع مع ميراث .صناع... الكلام" (technologues)، الذين كان سلوكهم في الفترة السابقة منافيا للأخلاق. وسار كتابه "البلاغة". الذي من المحتمل أن يكون قد كتبه بين عامي 323-329 قبل الميلاد، من الناحية النظرية في هذا المجال حتى يومنا هذا، فكانت هذه البلاغة الأروسطية المرشد لثقافة الحجاج، التي انتشرت في إطار الجمهورية وبداية الإمبراطورية، والتي شهدت كبار الخطباء ك: شيشرون، وكنتيلان وهم ينسقون وينظمون ويعممون معايير الخطاب الإقناعي.
- **فترة الانحطاط**: وهي مرحلة تدهور نظرية الحجاج في داخل البلاغة، وتمتد هذه المرحلة من نهاية الإمبراطورية الرومانية حتى منتصف القرن العشرين. وفيها تحولت البلاغة إلى مجرد نظرية في المحسنات والصور الأسلوبية، أما جزء الحجاج منها؛ ففقد مكانه تدريجيا في ظل التصاعد القوي للبرهان (في العلوم البحتة والتجريبية) وبعض فلسفة الوضوح(evidence)
- **فترة التجديد**: وهي مرحلة انبعاث "البلاغة الجديدة" خاصة مع كتابات الفيلسوف والقانوني البلجيكي شاييم بيرلمان وكتابات تولمين حول الحجاج في النطاق الأنجلو–سكسوني(1).

3. خصائص النص الحجاجي:

يمكن تحديد الملامح الأولية لطراز النص الحجاجي فيما يلي:

1.العلاقة بين أجزاء النص الحجاجي علاقة منطقية logical أكثر من كونها علاقة تصورية perceptul كما هي الحال في النص غير الحجاجي.

ويقصدبالعلاقة التصورية تلك التي تصدر عن تجربة محددة مقيدة بزمن التصور وبحدث التصور. والعلاقة المنطقية علاقة استنباطيةinventedغالبا، في مقابل العلاقة التصورية المباشرة غالبا في النص غير الحجاجي.

(1) فيليب بروتون، جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص 18-19.

2.يبنى النص الحجاجي –في شكله الرئيسي–على مكونات ستة هي: الدعوى (أو النتيجة) claim والمقدمات أو تقرير المعطياتassertion of data، والتبريرwarrant، والدعامة support، ومؤشر الحال qualifier، والتحفظات أو الاحتياطات reservation:

الدعوى نتيجة الحجاج: هي مقولة تستهدف استمالة الآخرين، تُذكر الدعوى صراحة، وقد تُضمّن.

والمقدمات تقرير يصنعه المجادل عن أشخاص أو أحوال أو أحداث، وينبغي للمقدمات أن ترتبط بالدعوى ارتباطا منطقيا، حتى تصلح لتدعيمها.

والتبرير بيان للمبدأ العام الذي يبرهن على صلاحية الدعوى وفقا لعلاقتها بالمقدمات.

والدعامة كل ما يقدمه المجادل من شواهد وإحصاءات أو أدلة وقيم...الخ، حتى يجعل المقدمات والتبريرات أقوى مصداقية عند المستقبل.

ومؤشرات الحال كل ما يقدمه من تغييرات تظهر مدى قابلية الدعاوى للتطبيق.

والتحفظات هي الأساس الذي ينهض عليه الحكم بعد قبولية الدعوى.

3.النص الحجاجي نص تقويمي. والقيمة مفهوم يستنبط مما يقوله الناس، وما يفعلونه، ومما تشيده المجادلات –والقيم–مع الدليل ومصادر معقولية الأشياء، تكون المادة التفاعلية التي يقدر بها الناس الحجاج الذي يستحق منهم الموالاة"[(1)].

وقد جمع بنوارونو سمات النص الحجاجي في النقاط التالية:

1.**القصد المعلن**: إنه البحث عن إحداث أثر ما في المتلقي، أي إقناعه بفكرة معينة وهو ما يعبر عنه اللسانيون بالوظيفة "الإيحائية" للكلام، وقد أدرك رجال الإشهار أهمية هذا الأمر فنجحوا في استغلال هذا الشكل الناجح من أشكال التواصل.

(1) حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته (ج4)، ، ص 5-6.

2.التناغم: فالنص الحجاجي نص مستدل عليه لذلك يقوم على منطق ما، في كل مراحله ويوظف على نحو دقيق التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات سواء تعلق الأمر بالفتنة أو الانفعال أو إحداث مجرد تقدم وهو ينم من هذا الوجه عن ذكاء صاحبه ويشي بمعرفته الدقيقة بنفسية المتلقي وقدراته وآفاقه وانتظاره، لذلك نراه يعلن أمرا ويذكر آخر ليختزل فكرة ويسهب في تحليل أخرى يسأل ويجيب بل قد يأتي بالفكرة الواحدة على أنحاء مختلفة فيتجلى في نصه سحر البيان وتتأكد فتنة الكلام.

3.الاستدلال: وهو سياقه العقلي أي تطوره المنطقي ذلك أن النص الحجاجي نص قائم على البرهنة فيكون بناؤه على نظام معين تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي وتهدف جميعا إلى غاية مشتركة.

البرهنة: إليها ترد الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال وصولا إلى ألطف فكرة وأنفذها"(1).

كما تتسم الحجج اللغوية بعدة سمات، نذكر بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر:

أ- **إنها سياقية**: فالعنصر الدلالي الذي يقدمه المتكلم باعتباره يؤدي إلى عنصر دلالي آخر، فإن السياق هو الذي يصيره حجة، وهو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية، ثم إن العبارة الواحدة، قد تكون حجة أو نتيجة أو قد تكون غير ذلك بحسب السياق.

ب- **إنها نسبية**: فلكل حجة قوة حجاجية، فقد يقدم المتكلم حجة ما لصالح نتيجة معينة ويقدم خصمه حجة مضادة أقوى بكثير منها، وبعبارة أخرى هناك الحجج القوية والحجج الضعيفة والحجج الأوهى والأضعف.

ج-**إنها قابلة للإبطال**: وعلى العموم فإن الحجاج اللغوي نسبي ومرن وتدريجي وسياقي بخلاف البرهان المنطقي والرياضي الذي هو مطلق وحتمي"(2).

ترتكز الحجج على ثلاث مواصفات وفق بيير أوليريونpierre oléron هي:

---

(1) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص 26-27.

(2) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ، ص 19-20..

1. الحجج يدل في إطارها مجموعة أفراد تنتج الحجج المتكلم المتلقي.

2. الحجج ليست تمرينا مجردا من حيث المضمون، مثل سرد حدث أو وصف شيء ما، بل طريق من خلالها يهدف المتكلم أن يمارس نوعا من التأثير في الآخر.

3.الحجج تبنى على تبريرات وأدلة من أجل الدفاع عن رسالة ما، وللحجج علاقة مع القياس والمنطق"(1).

(1) رضوان الرقبي ، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله ،مجلة الحجاج،عالم الفكر،العدد2.،مجلد.40، أكتوبر-ديسمبر،2011م،ص73.

الفصل الثاني

آليات الحجاج اللغوية
في زهديات أبي التاهية

تمهيد:

بعد معالجتنا في القسم السابق من الدراسة لمجموعة من القضايا المتعلقة بالحجاج ننتقل إلى مجال التطبيق، حيث سنعمل على إخراج هذا المصطلح من حمولته النظرية إلى ما هو تطبيقي عملي وقد اخترنا لذلك المجال الشعري ،والحجاج الذي نتناوله بالدراسة يتمثل في معرفة ما تشمل عليه اللغات البشرية عامة واللغة العربية خاصة من وسائل لغوية يوظفها المتكلم لتحقيق أهدافه وغايته الحجاجية و الإقناعية.

والنص الشعري كأي خطاب فإنّه يعمل على استمالة الآخر والتأثير فيه والاجتهاد في إقناعه من خلال توظيف الإمكانيات التعبيرية التي تمنحها اللغة والسياقات المتباينة التي ترد فيهانصوصه ولقد نبّه عبد الله حمادي إلى هذا الدور اللغوي للشعر قائلا: "أنه (الشعر) لا يقبل الخوض في المعمعة ووظيفته أنه لا يسرد ولا يصف لا يعلّم ولا يتضمن حقائق ثابتة،إنّه ينطق بلسان العالم دون أن يذكر حالا من أحواله المجردة، أو وجها من وجوهه، يقرأ إذا قريء لذاته، يوفر متعة جمالية خالصة وخاصة به، إنَّ الشعر لا يتكلم عن العالم بقدر ما يتكلم بلسان العالم"(1).

وسنحاول في هذا الفصل إبراز الجوانب الحجاجية اللغوية لزهريات أبي العتاهية علما بأننا لا نستطيع الإحاطة بكل المظاهر الحجاجية لهذا النص الشعري، لأن هذا يعني تكرار ما هو متواتر، بل سنقوم بتحليل بعض النماذج ليس من جهة بنيتها اللغوية الخالصة بل من حيث إرتباطها بالحجاج عموما لغرض معين هو تحقيق التأثير والإقناع.

---

(1)عبد الله حمادي، مفهوم الشعر(مقال) نقلا عن خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مقاربة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف-الجزائر، ط 1،2012،ص14.

1. الأساليب الإنشائية ودورها الحجاجي:

تضطلع الأساليب الإنشائية بدور هام في العملية الحجاجية بما توفره من إثارة للمشاعر وما تستدعيه من عواطف وأحاسيس وهو ما أكده أوليريان(pierre oleron)في قوله: "الأمر والتهديد وإثارة مشاعر الخوف كلّها حجج لأنهّا دون أن تحدد آليا الموقف توفر الأسباب الداعية لاختيار هذا الموقف"(1).

والطلب والأمر والنهي وغيرها من أساليب الإنشاء أفعال كلامية، ولاسيما تلك المتعلقة منها بالرسالة الموجَّهة إلى مخاطبين معينين من أجل إبلاغ معتقد أو إبلاغ معرفة أو تبليغ وجهات نظر فهي تلعب دورا كبيرا في الإقناع، وخاصة في العملية الحجاجية نظرا لما يعمله من جلب المتلقي إلى فعل الاستدلال، حتّىإنّه يشركه بحكم قّوته وخصائصه التي تخدم مقاصد الخطاب لتؤدي دورا أساسيا في الإقناع بالحّجة(2).

1. وقد أدرج أوستين هذه الأفعال اللغوية ضمن الأفعال الإنجازية "وهي الجمل والأقوال التي لا تصف أي واقع في العالم الخارجي فلا يمكن أن يقال عنها إنّها صادقة أو كاذبة، ولكن بمجرد النطق بها يشكل في حد ذاته فعلا معينّا"(3).

وشكل خطاب التهديد والوعيد أحد ميزات شعر أبي العتاهية وقد اعتمد صور الترهيب والتخويف متخذا من الموت الحّجة القوية ، وهي الحقيقة المهمة التي يشاهدها الناس ويدركونها كل يوم،وقد توسل في إيصال ذلك للمتلقي مجموعة من الأساليب الإنشائية من نداء، واستفهام، وأمر، ونهي وتعجب لأنها الصيغ التي تثير الانتباه وتجذب السمع.

(1) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص140.
(2)تسعديت فوراري، المتلقي في منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 64
(3) أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 54.

أ. الاستفهام:

يعد طرح الأسئلة وسيلة هامة من وسائل الإثارة يستعملها المرسل للسيطرة على ذهن المرسل إليه ودفعه لإعلان موقفه إزاء المشكل المطروح وهو "طلب حصول في الذّهن والمطلوب حصوله في الذهن، إما أن يكون شيء على شيء أو لا يكون"(1)، بمعنى أن الاستفهام يحمل قضية حجاجية تدعو السامع إلى إعمال فكره وفي ذلك استدراج له من المتكلم ليحاجج نفسه بنفسه وفيما يلي عرض لشواهد ذلك:

1. يَهْرُبُ المرءُ مِنَ المَوْتِ وَهَلْ ... يَنْفَعُ المَرْءَ مِـــنَ الموت الهَـــرَبْ(2)
2. مَاذَا تَقُولُ وَلَيْسَ عِنْدَكَ حُجَّةً ... لَوْ قَدْ أَتَاكَ مُنَغِّصُ اللَّـــذَّاتِ(3)
3. لِأَمْرٍ مَا خُلِقْتَ فَمَا الغُـــرُورُ ... لِأَمْرٍ ما تُحَثُّ بِكَ الشُّهـــورُ(4)
4. كَيْفَ اغْتَرَرْتَ بِصَرْفِ دَهْرِكَ يَا أَخِي ... كَيْفَ اغْتَرَرْتَ بِهِ وَأَنْتَ لَبِيـــبُ(5)
5. يَا مَنْ رَأَى أَبَوَيْهِ فِيمَا قَدْ رَأَى كَانَا فَمَاتَا هَلْ فِيهِمَا عِبْرَةٌ أَمْ خِلْتَ أَنَّ لَكَ انْفِلَاتَا(6)
6. أَلَا أَيْنَ مَنْ وَلَّى بِهِ اللَّهْوُ والصِّـــبَا ... وَأَيْنَ قُرُونٌ قَبْلُ كَانَتْ فَبَادَتِ(7)
أَيْنَ المُلُوكُ وَأَيْنَ عِزَّتُهُـــمْ ... صَارُوا مَصِيرًا أَنْتَ صَائِرُهُ(8)
7. كَيْفَ تَعْمَى عَنِ الهُدَى كَيْفَ تَعْمَـــى ... عَجَبًا والهُدَى سِرَاجٌ مُنِيرُ(9)

---

(1)خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مقاربة بين التداولية والشعر، ص 164، 165.
(2)أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق، 1384هـ، 1965م، ص 30.
(3)المصدر نفسه، ص 57.
(4)المصدر نفسه، ص 157.
(5)المصدر نفسه، ص 28.
(6)المصدر نفسه، ص 75.
(7)المصدر نفسه، ص 71.
(8)المصدر نفسه، ص 179.
(9)المصدر نفسه، ص 137.

هذه الأبيات تمثل بنيات حجاجية قائمة على افتراضات ضمنية تخدم نتيجة معينة، بمعنى أن الاستفهام يحمل افتراضات ضمنية غير مصرح بها، فالمرسل من خلاله لا يهدف إلى الحصول على الإجابة بنعم أو لا مما يجعله استفهاما حجاجيا وبالتالي يمكننا قراءتها القراءة الآتية:

البيت الأول: أن الهروب من الموت لا ينفع الإنسان ،لأنّ المنايا تحوم فوق رأسه في كل مكان وزمان ، ونفس الإنسان التي تخاف الموت وتهرب منه لاينجيها ذلك الهروب من مصيرها المحتوم ولذلك وجَّه الشاعر المتلقي إلى خيار واحد وهو التسليم بقضاء الله وقدره.

الثاني: أن الموت يأتي فجأة وبغتة للإنسان من دون علم ،ولهذا يجب على الإنسان أن يتدارك نفسه ويكون مستعدّا له وأن يحمل معه زاد الآخرة (الأعمال الصالحة) لكي تكون له حجَّة يوم القيامة قبل فوات الأوان.

الثالث: على الإنسان ألّا يغتر بالدّنيا وزخرفها لأنّه خلق لغاية وهذا ما أكده في بداية البيت (لأمر ما خلقت) ،وهذه الغاية هي طاعة الله أو ربما تكون هذه الغاية الموت وستبين الأيام والشهور ذلك، وهذا الاستفهام متضمن معنى النفي.

الرابع: أنّ الاغترار بالدّنيا الفانية ليس من سمات العاقل اللبيب فمهما اغتر الإنسان تضل الحقيقة واحدة هي التعلّق بآمال كاذبة.

الخامس: الإقرار والاعتراف بالموت والهدف من ذلك هو التأثير في المتلقي لكي يتعظ بالموت ويعتبره عبرة له ،ولا يظن نفسه أنه قد ينفلت منه وحجته في ذلك ما أفناه الدهر قبله ومنه أبويه.

السادس: يجب أن لا ينشغل الإنسان باللّهو عن ذكر الموت، فالموت لا يستثني أحدا حتى الملوك الأعزة أصابتهم المنيةّ رغم قوتهم وسطوتهم وسيكون مصيرك مثلهم.

السابع: الاستفهام جاء لغرض التعجب لأن الشاعر يتعجب من الإنسان الذي لا يرى الهدى رغم أن طريقه واضح وقد كرر عبارة "كيف تعمى" للدلالة على الإسراف في الضلال، فاستعمل المتكلم هذا السؤال الحجاجي للتأثير في المتلقي وإقناعه بالابتعاد عن طريق الضلال وإتباع طريق الهدى.

تمثل هذه الأسئلة المعطى الذي يشترك في العلم به كل من السائل والمسؤول ويمثل الجواب البؤرة إذ يمثل المعلومة ومدار الكلام، فهذه الأسئلة تحمل طاقة حجاجية هامة لما فيها من إثارة واضحة إذ بها يستنفر المتلقين ويستجلب الأسماع خاصة حين يكون المقام مقام وعظ وإرشاد فإن الجمل التقريرية أكثر ملائمة لتحقيق هذا الغرض وهذا ما ترمي إليه التداولية هو تحقيق الإفادة والتأثير والإنجاز مع توفير القصد.

فالاستفهام في هذا المقام هو ما عبَّر عنه السكاكي بقوله: "أنَّ الاستفهام طلب وليس يخفي أنّ الطلب إنّما يكون لمن يهمك ويعنيك شأنه لا كما وجوده وعدمه عندك بمنزلة[1].

والاستفهام هنا، هو الحجج ذاتها، كما أنه فعل حجاجي بالقصد المضمر فيه، وفق ما يقتضيه السياق، والمرسل يدرك، كما يدرك المرسل إليه، أنّ هذه الأسئلة ليست استفهاما عن مجهول، إذ لا يجهل المرسل شيئا من هذه المعارف، كما لا يتوفر المرسل إليه، في أغلب الأحوال، على معرفة تزيد على ما يعرفه المرسل، وبهذا فهي حجج باعتبار قصد المرسل لا باعتبار الصياغة والمعنى الحرفي فقط[2].

ومنه فأسلوب الاستفهام يدمج المتلقي في النص، ولا يسمح له بالحياد، أو المراقبة فقط بل إنه يشركه في تكوين المعنى.

ب-الأمر:

يعد الأمر من أهم الأفعال اللغوية التوجيهية التي يوظفها المتكلم لأغراض إقناعية حجاجية منها حمل المخاطب على أداء عمل معين فهو لا يختلف عن الاستفهام إن لم يكن أكثر دلالة منه على ذلك.

والأمر "صيغة يطلب بها على وجه التكليف والإلزام حصول شيء لم يكن حاصلا وقت الطلب، وطالب الفعل فيها أعظم وأعلى ممن طلب الفعل منه[3].

(1)السكاكي، مفتاح العلوم، حققه و قدم له و فهرسه عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1، 1420هـ-2000م،ص427.

(2)عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 485.

(3)علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، ص178.

والتوجيه باستعمال صيغة الأمر ليس تابعا للمواضعة اللغوية فقط، وإنّما المعول عليه هو اتفاقها مع سلطة المرسل بشرط أن لا تتعارض مع سلطة أعلى من سلطته[1].

وأبو العتاهية يصدر هذه الأوامر بموجب السلطة التي يتمتع بها، وهذه السلطة استمدها من تعاليم الدّين، وكان لا بد للمتلقي أن يمتثل ويستجيب لهذه الأوامر ومن ثم فإنّ عدم التقيدّ بها ليس في مصلحة المرسل إليه.

وقد استعمل الشاعر الأمر بصيغته المعروفة "افعل" وبصورة متكررة لأن خطابه يحمل تعليمات ومواعظ ونصائح مهّمة حتى أنه مثل العامل الطاغي في بناء المنظومة الحجاجية في شعره، يتضح ذلك من خلال اختيارنا لبعض النماذج منها قوله:

1. أُسلكْ من الطُّرقِ المناهجْ   ولِجْ   وإن لُمّتَ لاعجْ
وأنبذْ هُمُومكَ أن تضيـ   قَ بِهَا فإنّ لها مخَرْجِ
واقْضِ الحوائجَ ما استطعتَ   وكُنْهم أخيكَ فَارِجْ[2]
2. اِصْبِر لكّلُ مصيبةَ وتجلّدْ   واعْلَمْ بأنَّ المرْءَغير مخلّدْ[3]
3. واجعل صديقَكَ من وَفَى لصَديقِهِ   واجعْل فيَقَكَ حين تنزل من يَرِعْ
وامنع فؤَادَكَ أنْ يَميَل بكَ الهوَى   واشْدُدْ يَدَيكْ بحبلِ دينكَواتّزعْ
واعْلَم بأنَّ جميَع ما قدَّمتهَ   عندَ الإله موفَّر لك لم يضَعْ[4]
4. خذ من الدّنيا الذي دتّو به   واسْلُ عّما فات منها وانقطعْ
إنَّما الدُّنيا متاعٌزائلٌ   فاقتصدْ فيه وخُذْ منه ودَعْ
وارض للنّاس بما ترضى به   واتْبعَ الحقَّ فنْعَم لمتّبعْ[5]

(1)عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ،ص 342.
(2)الديوان، ص 91.
(3)المصدر نفسه، ص 110.
(4)المصدر نفسه، ص 215.
(5)المصدر نفسه،ص218 .

تمثل هذه الأوامر دعوة واضحة إلى تبني جملة من القيم وتحويلها إلى أفعال ومواقف إنسانية نبيلة تهم المتلقي في دنياه وآخرته وبمجرد قيام الشاعر آمرا له قيمة حجاجية بيّنة حيث ظهر الشاعر من خلالها في مظهر الحكيم الذي خبر صروف الدهر وابتلى ناسه فغنم رأيا صالحا يمنحه حق نصح الآخرين.

وتندرج الأوامر هنا ضمن مجال التوجيهيات، والباث في التوجيهات، يحاول "دفع السامع إلى فعل شيء، وتحاول التوجيهيات –كذلك- أن تجعل العالم يطابق الكلمات، حيث يقوم السامع بعمل ذي نتيجة إيجابية أو سلبية للمتكلم فتأتي النصيحة بعمل لصالح السامع"[1].

ج. النهي:

يعد النهي من الأفعال الإنجازية التوجيهية ويتضمن "طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء"[2] ولا يختلف النهي في ذلك عن الأمر يقول المبرد: "واعلم أن الطلب من النهي بمنزلة من الأمر يجري على لفظه كما يجري على لفظ الأمر"[3] فهو "محذو به حذو الأمر في أن أصل استعمال لا تفعل أن يكون على سبيل الاستعلاء"[4].

ومن الأمثلة في النهي استعمال لا الناهية و قد جاءت على سبيل النصح والإرشاد و هي كثيرة في شعر أبي العتاهية وسنكتفي ببعضها منها قوله:

فلا تعشقِ الدُّنيا أُخيَّ فإنَّما ترى عاشِقَ الدُّنياَ بجُهْد بلاءِ[5]

فلا تمشي يوما في ثياب مخيلةَ فإنّكَ خُلقتَ من طينٍ وَماءِ[6]

لا تأمنِ الموتَ في طرفٍ ولا نفسٍ وإن تمنَّعتَ بالحجَّابِ والحَرسِ

(1)عبد الله بيرم، التداولية والشعر، ص 127.

(2)علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 187.

(3) المبرد، المقتضب ،نقلا عن عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 349.

(4)السكاكي، مفتاح العلوم، ص429.

(5)الديوان، ص 2.

(6)المصدر نفسه، ص 3.

لا تأمنِ الحْتفَ فيما تستلذُّ وإن لانت ملامَسَه ه في كفٍّ ملتمسِ[1]

ومن أساليب النهي استعمال "لا" الناهية مع نون التوكيد في الفعل المضارع ومن أمثلته قوله:

لا تغضبنَّ على الزّمان فإنّ من يُرضي الزّمان أقلُّ ممّن يغْضبُهْ[2]

لا تلُهينّكَ عن معادك لذّةٌ تَفْنى وتورثُ دائم الحسراتِ[3]

فلا تغبطنَّ الحيَّ في طول عُمرِه بشيءٍ ترى إلا بما تغبط المْيتاَ[4]

لا يعجبنَّكَ ياذا حُسنِ مْنظَرةٍ لم يجَعلِ اللّه فيها حُسْنَ مخَبرةٍ[5]

لاتجزعنَّ فمن تعتَّبَ دام وصل تعتُّبه[6].

فالشاعر يستعمل هذه الصيغة (النهي مع زيادة نون التوكيد) وذلك مؤشر تداولي على أن النهي هنا يعلو النهي في الخطاب السابق درجة لأن فيه تأكيدا والتأكيد كان نتيجة لمعرفة المرسل بالمرسل إليه وبعناصر السياق جيدا[7].

يعد استعمال النهي دليلا صريحا على حرص الشاعر أن يبلغ قصده إلى المتلقي وأن يفهم منه حرصه الشديد على التقيد بهذه النصائح وهي:

- التّحقير والاستصغار للدّنيا.
- الابتعاد عن التكبّر.
- حتمية الموت واستحالة الخلود.
- عدم الغضب من الزمان فالدّنيا دار البلوى.
- الابتعاد عن الشهوات لأنها تورث الندم والحزن.
- تجنّب الحسد لأن الحّي والميت سواء.

(1) المصدر السابق ،ص194.
(2)المصدر نفسه، ص 47.
(3)المصدر نفسه، ص59.
(4)المصدر نفسه، ص 65.
(5)المصدر نفسه، ص 86.
(6)المصدر نفسه، ص 52.
(7)عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 350.

- الصبر على الشدائد وعدم الانزعاج.

يأتي كلام الشاعر في هذا الصدد في إطار التناصح، حيث جعل كل كلامه في هذه الأبيات بمنزلة تقديم النصيحة "والنصيحة تتضمن حجاجيا توجيها بأن المقصود بالنصيحة يمارس سلوكا يتطلب التقويم فهي تضعه في موقع المذنب أو القاصر أو المنحرف إضافة أنّها تتراجع به إلى موقع دون الناصح الذي يتصدر هنا الموقع الأول"(1)، فكل هذه الحجج التي جاءت على صيغة النهي هي أفعال لغوية مثلت دعوة واضحة يحذر فيها الشاعر المتلقي من الدنيا وغرورها ومن الحياة وشرورها ويدفع الإنسان إلى الاتعاظ والقيام بأعمال الخير لأنها أصلح له وأبقى، واستعمل هذه الأفعال للسيطرة على ذهن المتلقي.

ومن هنا يتبين قدرة الأفعال على معاضدة الحجاج ومساندة الشاعر في سعيه إلى الإقناع والحمل على الإذعان تماما كبقية الأساليب الإنشائية من تمّنٍ ودعاء وقسم واستفهام، لأن أسلوبي الأمر والنهي نابضان بالإثارة قادران على تحريك الوجدان وإحداث ما ينشد المتكلم تحقيقه في المتلقي من انفعال(2).

د. النداء:

يعد النداء توجيها لأنه يحفّز المرسل إليه لرّدة فعل تجاه المرسل، والنداء إلى جانب وظيفة الإظهار والإعلام يتحقق فعلا خطابيا في التفاعل، ليتعدى إلى وظائف سياقية مقامية يولدها الموقف. يقول الفارابي: "...فإنّ النداء يقتضي (يطلب) به أولا من الذي نودي الإقبال بسمعه وذهنه على الذي ناداه منتظرا لما يخاطبه به بعد النداء"(3).

وقد استعمل أبو العتاهية النداء بكثرة يصل أحيانا لدرجة الندب طلبا لالتفات المخاطب، ففي المحاجة يصبح نهجا للنصح والإرشاد في قوله:

(1)الحسين بنو هاشم، آليات الحجاج في كشف ما هو في الحقيقة لجاج، الحجاج، عالم الفكر، العدد 2، المجلد 40، أكتوبر، ديسمبر، 2011 ص 57.

(2)سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 153.

(3)الفارابي، الحروف ، نقلا عن مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص148.

يا خائفَ الموتِ لو أمسيتَ خائفه كانت دموعُكَ طول الدَّهر تنبجِسُ[(1)]
أيُّها المزمِعُ الرَّحيلَ عن الـــدُّنيا تزوَّدْ لـــذاك من خيـــر زادِ[(2)]

وقد يخرج النداء إلى معان إنشائية أخرى أهمّها الدعاء، وللدعاء قيمة حجاجية تتمثل في تقوية المعنى، "فهو أكثر الأفعال الكلامية تأثيرا لما يحمله من قوّة كلامية (foce illocutoire)تريح المتلفظ به"[(3)] في قوله:

أيا ربّنا الضَّعفُ إن لم تقّونا على شكرِ ما أبليتَ منك وأوليتا
أيا ربِّ نحن الفائزونَ غدًا لئن تولّيتنا يا ربّ فيمن تولّيتا
أيا مَنْ هو المعروفُ من غير رؤيةٍ تباركتَ يا من لا يُرى وتعاليتا[(4)]

ولننظر مثلا إلى النداء المقترن بلفظه "أخي" في قوله:

أأُخَيَّ لم يقكَ المنيَّةَ إذ أتت ما كان أطعمكَ الطّبيبُ وما سقى
أأُخَيَّ لم تُغْنِ التَّمائمُ عنك ما قد كُنْتُ أحذُره عليك ولا الرُّقى
أأُخَيَّ كيف وجدت مسَّ خُشُونةَ الـ مأوى وكيف وجدت ضيق المتّكا[(5)]

فقد استعمل الشاعر النداء المقترن بلفظة "أخّي" ليؤسس عليها فعله الحجاجي بالإضافة إلى أنّها حجج في ذاتها فقد وضح بها درجة العلاقة بينه وبين المتلقي وهذا يعطي ثراء لدلالات الخطاب.

ولفظة أخّي هي من ألفاظ القرابة وهي من الصفات التي يمكن أن تجسد علامة على درجة الحجاج، جسّد بها الشاعر درجة قرابته مع المتلقي "ولا يخلو اختيار اللقب أو إطلاقه من قصد

(1) الديوان، ص 188.
(2) المصدر نفسه، ص 113.
(3) يمينة تابتي، الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، مجلة الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، العدد الثاني، ماي 2007 ص 309.
(4) الديوان، ص 66.
(5) المصدر نفسه، ص 16.

حجاجي، إذ لا يقصد به تصنيف الموصوف بالنظر إلى السمات التي تشركه مع العناصر التي ينتمي إليها فحسب، ولكنه يعبّر غالبا عن تحديد موقفه منه، وطريقة الحكم عليه ومعالجته"[1].

وفي ذلك استدراجا له لأنه يريد التودّد والتضامن والتعاطف معه وتذويب الفوارق بينهما طلبا لحصول التصديق باعتبار أن الأخّوة هي موجب النصيحة.

هـ. التعجب:

يعد التعجب من الأساليب الحجاجية التي كثر استخدامها من قبل الشاعر، والواقع أن توظيفه بوصفه مثلا فعلا كلاميا ذاتيا يؤدي وظيفة تداولية حجاجية مهمة بما يحمل من عمليات التأثير مثل الإرباك والاستغراب، الحيرة....

وقد اعتبر جمهور العلماء العرب التعجب من ا لإنشاء غير الطلبي وفّهو بأنّ "استعضام زيادة في وصف الفاعل خفي سببها وخرج بها المتعجب عن نظائره أو قّل نظيره"[2].

وقد استخدم الشاعر التعجب بصيغه المختلفة، ومن ذلك استخدام صيغة التعجب السماعي "عجبا" وذلك في قوله:

ولقد َعجِبْتُ لهالكٍ ونَجَاتهُ موجوَدةٌ ولَقَدْ َعجِبْتُ لِمْن نَجَا[3]

وحجة الشاعر هنا مبنية على التناقض فهو من جهة يتعجب من الإنسان الذي أهلكته شهوات الدّنيا وزينتها وزخرفها فغرق في المعاصي بالرَّغم من أنّ نجاته موجودة ،ومن جهة أخرى يتعجب من الإنسان الذي نجا من الدنيا رغم كثرة غرورها.

وقد يتضمن التعجب عبارة التهوين من شأن الدنيا فيحمل المخاطب على إنجاز فعل التحقير والاستصغار للدنيا ،فهو يرى أنّ عمر الإنسان محدود لا بدّ أن يستكمل عدته ثم ينتهي بزوال الإنسان ،ولهذا فهو يتعجب من الذين يجمعون المال ثم يتباهون به وهم لايدرون أنّ لجمع المال أصولا لابد ألا يتجاوزها الإنسان وإلا تعرض لغضب الله وذلك في قوله:

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 487.
(2) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص153.
(3) الديوان، ص 14.

عَجَباً عَجِبْتُ لِطالِبٍ ذَهَباً يَفْنَى ويَرْفُضُ كُلَّ ما يَبْقَى[1]

إنَّ النفس لدى الشاعر منطقة الخطر فإذا طهرها صاحبها أفلح ونجح في زرع المبادئ السامية، ويرتفع بها عن دنيا الصراع والانشغال بالماديات المهلكة،لأن الدنيا مهما طالت قصيرة وزائلة ومؤذنة بوداع، والآخرة مهما طال زمن الدّنيا آتية وباقية، فالشاعر جد متأثر لألم كان يعصر قلبه لحال الناس من تعلق بالدّنيا وسعي وراء إصابة أسبابها.

ويكرر ذلك في قوله:

وَمِنْ عَجَبِ الدُّنْيا يَقِينُكَ بالفَنا وأنَّكَ فيها لِلْبَقاءِ مُرِيدُ[2]

عَجَباً لِمَنْ يَغْتَرُّ بِهِ وَيَقِينُهُ بِفَنائِهِ مَحْضُ[3]

فالأمل يغّر صاحبه فلولا الأمل المغرور لترك النّاس التعلّق بالدّنيا وزخرفها فترك الإقبال على الدنيا دليل على صحة الرأي وصواب الاختيار كما أنه يبعد صاحبه من مواقف الحيرة والحسرة.

والحجة نفسها يعتمدها الشاعر ولكن هذه المرّة بصيغة مخالفة لصيغة التعجب السماعي وهذه الصيغة هي صيغة التعجب "ما أفعله" في قوله:

فلله دار ما أحثَّ رحيلها وما أعرض اللآمال فيها وأطولا[4]

فهو يتعجب من هذه الدّنيا التي تنذر بسرعة الزوال أ والتي تنذر بالّرحيل السريع ،ويتعجب في مقابل ذلك بالآمال و الأماني العريضة الطويلة عند المرء التي يمني نفسه بها.

ومن ذلك أيضا قوله:

مَا أَقْطَعَ المَوْتَ للأَمَـــانِي وَالأَمَلِ النَّازِحِ الطَّوِيـــلِ
مَا أَخْوَضَ النَّاسَ مُنْذُ كَانُوا فِي كَثِيرِ قَالٍ وَكَثِيرِ قِيـلِ
مَا أَفْضَلَ الرَّفْضَ لِلمَلاهِي وَالصَّبْرَ لِلفَاحِ الجَمِيـــلِ

(1)المصدر السابق، ص 11.
(2)المصدر نفسه، ص127.
(3)المصدر نفسه، ص 204.
(4) المصدر نفسه، ص 304.

مأزين الجود من حليف ما أشين البخل للبخيل[1].

فهذا التعجب عاملا لتحقيق مجموعة من الحجج هي كالتالي:

- سرعة زوال الدنيا.
- كثرة الفتن.
- صبر الإنسان أمام غرور الدنيا وملذاتها.
- مدح كرم الإنسان وذم بخله.

وقد استخدم الشاعر لفظ "سبحان ربك" في سياق التعجب يحتج في ذلك لمن لا يهتم بآخرته تائبا في قوله:

سُبْحَانَ رَبِّكَ مَا أَرَاكَ تَتُوبُ وَالرَّأْسُ مِنْكَ بِشَيْبِهِ مَخْضُوبُ

سُبْحَانَ رَبِّكَ ذِي الجَلَالِ أَمَا تَرَى نُوَبَ الزَّمَانِ عَلَيْكَ كَيْفَ تَنُوبُ

سُبْحَانَ رَبِّكَ كَيْفَ يَغْلِبُكَ الهَوَى سُبْحَانَهُ إِنَّ الهَوَى لَغَلُوبُ[2]

ويمضي أبو العتاهية في استخدام الصيغ الإنشائية وتعدادها وتكرارها، ليحدث إثارة مخاطبه ويضمن استجابته،وقد يستخدم في خطابه الذي يتجاوز البيت الواحد أكثر من أسلوب من تعجب وأمر ونهي... لأنها الأساليب التي تثير الانتباه وتجذب السمع، وهو حينما ينتقل بين هذه الأساليب ويكثر من استعمالها، إنَّما يهدف إلى أن ينقل السامع معه من حال إلى حال حتى لا يتسرب الملل إلى نفسه وحتى يتابع لفته إلى خطابه ليشعر وكأنّه يشارك في أحداث الخطاب ويتفاعل معها على نحو ما يوضح القزويني: "إنَّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر ايقاضا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد"[3].

(1) المصدر السابق،ص30.

(2) المصدر نفسه، ص 30.

(3) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 1424هـ، 2003م، ص 69.

فتنويع أساليب الخطاب له وقعه على السامع، حيث يعدل المتكلم عن أسلوب إلى أسلوب ليكون أقرب إلى السامع وأفيد له وأجلب إلى اقتناعه بما يدعوا إليه وتلك هي قيمته الحجاجية.

ولننظر إلى قوله:

أَمْهِدْ لِنَفْسِكَ واذْكُرْ سَاعَةَ الأَجَلِ وَلَا تَغُرَّنَّ فِي دُنْيَاكَ بِالأَمَلِ

سَابِقْ حُتُوفَ الرَّدى واعْمَلْ عَلَى مَهَلٍ مَا دُمْتَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى مَهَلٍ[1]

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَسْؤولٌ وَمُفْتَحَصٌ عَمَّا عَمِلْتَ وَمَعروضٌ على العَمَلِ

لا تلعبنَّ بك الدُّنيا وزُخْرُفُها فإنَّمَا قُرِنَتْ بالظِّلِّ في المثَلِ

ما أقْرَبَ الْموتَ من أهْلِ الحَيَاةِ وما أحْجَى اللَّبيبَ بحسنِ القولِ والعَمَلِ

والموتُ مدرَجةٌ للنَّاسِ كُلِّهِم قَسْرًا إليه بكُمْ تَجْمَعُ السُّبُلُ

ما أحسنَ الدِّينَ والدُّنيا إذا اجْتَمَعا وأقْبَحَ الكُفْر والإفْلاسَ بالرَّجُلِ[2]

حيث تظافرت في خطابه مجموعة من الأساليب انتقل فيها بالسامع من صيغ الأمر إلى صيغة النهي إلى النفي إلى التعجب إلى الإثبات مّرة أخرى، وفي هذا العدول استدراجا لانتباهه ودفعا للسآمة أن تصيبه والرضى بالحجة التي دعت المتكلم إلى هذا الالتفات مما يسهم في التأثير فيه وفي مواقفه.

وقد يجمع المرسل أكثر من أسلوب في البيت للإقناع والتوجيه وهذا ما يسمى بالتوجيه المركب[3]، حيث يستعمل المرسل في توجيه المرسل إليه أكثر من آلية في خطاب واحد.

فقد يكونان أسلوبين متضادين شكلا، ولكنهما ليسا كذلك، حيث يدعم أحدهما الآخر فيعطي الخطاب قوة كما في الأمر والنهي في قول الشاعر

1. لا تَظْلمنَّ تكُنْ من الـ أحرارِ واعْفُ إذا ظُلِمتاَ[4]
2. تمَسَّكْ بالتُّقى حتَّى تَمُوتاَ ولا تدع الكَلاَمَ أو السُّكُوتَ

(1) الديوان، ص 294.

(2)المصدر نفسه، ص 295.

(3) أنظر عبد الهادي بن ظافر الشهري،استراتيجيات الخطاب، ص 363.

(4) الديوان، ص 61.

وقل حَسَنًا وأَمسِكْ عَنْ قَبيحٍ ولا تَنْفَكَّ عَنْ سُوءٍ صَمُوتَا[1]

إذ نهى الشاعر في البيت الأول عن الظلم في قوله: "لا تظلمن" ثم أمر بالعفو عن الظالم "واعف إذا ظلمتا" فجاء الأمر تدعيما وتأكيدا للنهي لأن قصد الشاعر فيهما واحد.

كما جاء النهي في البيت الثاني والثالث "لا تدع، لا تنفك" تأكيدا للأمر "تمسك، وقل حسنا" لأن القصد واحد وهو الدعوة إلى التقوى.

إنّ الأمر لم يرد منفصلا عن النهي في بعض المواضع،وإنّما وردا متشابكين ومتداخلين مع بعضهما حتى صعب الفصل بينهما وهذا راجع لطبيعة الموضوع(الزهد) المرتبط بالجانب الديني ونظام المعاملات والأخلاق.

2. أسلوب التوكيد:

يعد التوكيد من الأساليب اللغوية التي يستعملها المتكلم في إقناع السامع" وهو معنى مستفاد من صيغ وأساليب لغوية معينة معروفة في العربية، وغرض تواصلي، يستخدمه المتكلم لتثبيت الشيء في نفس المخاطب وإزالة ما علق بها من شكوك وإماطة ما خالجها من شبهات"[2].

يقول الزركشي: "إنما يؤتى به للحاجة للتحّرز عن ذكر ما لا فائدة له، فإن كان المخاطب ساذجا ألقي إليه الكلام خاليا من التأكيد، وإن كان مترددا فيه حسن تقويته بمؤكد وإن كان منكرا وجب تأكيده"[3].

لجأ الشاعر إلى استعمال التوكيد، لأنه يريد تأكيد المعاني التي قدمها وتثبيتها في ذهن السامع وإزالة ما يعتقده من احتمالات فمفهومه حجاجي أساسا.

ولقد حفل شعره بأنواع كثيرة من التأكيدات نحاول أن نبينها من خلال الأمثلة التالية بقوله:

(1) المصدر السابق، ص 66.

(2) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 253.

(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج2، ص 390.

1. إنَّ الفَناءَ مَن البَقاءِ قَرِيبُ إنَّ الزَّمانَ إذا رمى لمصُيبُ
إنَّ الزَّمانَ لأهلهِ لمؤدِّبٌ لو كان ينفعُ فيهِم التأديبُ(1)

يتضمن هذا التركيب اللغوي نوعين من التوكيد "إنَّ" المشدّدة التي من شأنها الإثبات لما يأتي بعدها(2)، و"اللام"تحقيقا لذلك، واستعملها المرسل ليؤكد حججه التي يضمنها أحكام مخالفة لما يعتقده المتلقي.

فالشاعر يسعى من خلال هذا التأكيد أن يقنع المتلقي بسرعة زوال الدّنيا، وكذاعجز الإنسان من دفع حوادث الدهر ونوائبه، فالدّنيا مهما طالت قصيرة وزائلة، فالتوكيد رسالة تحذير للإنسان من الاستكانة لصروف الزمان ومغرياته.

2. وإنَّ لِكلِّ تخليص لوجهاً وإنَّ لِكلِّ مسألة جواباً
وإنَّ لِكلِّ حادثة لوقتاً وإنَّ لِكلِّ ذي عمل حساباً
وإنَّ لِكلِّ مُطَّلَع لحداً وإنَّ لِكلِّ ذي أجلٍ كتاًبا(3)

هذه الأبيات عبارة عن حجج قدمها الشاعر للمتلقي مؤكدة بـ "إنَّ واللام" بين من خلالها أن لا شيء يدوم وأن الجميع الناس مآلهم الزوال، لذلك يجب تجنب الحرص فكل شيء بأوانه ومن ثم فهي تقود إلى نتيجة معينة واحدة وهي أن لكل بداية نهاية وأن نهاية الإنسان هي الموت.

3. ولقد أقام لي المشيبُ نعُاته يفضي إليَّ بمفرِقٍ وقذالِ(4)
ولقد رأيتُ الموتَ يبرقُ سيفه بيد المنيَّةَ حيثُ كنتُ حيالي
ولقد رأيتُ عرى الحياةَ تخرَّمتْ ولقد تصدَّى الوارثُونَ لمالي(5)
ولقد رأيتُ الحادثاتِ مُلحَّةً تنعى المَنونُ تُقَرِّبُ الآجالا

(1) الديوان، ص 27.
(2) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر،القاهرة، ط2، ج2، ص 234.
(3) الديوان، ص 19.
(4) المصدر نفسه،ص281.
(5)المصدر نفسه، ص 282.

ولقد رأيتُ مساكناً مسلوبة سكّانُها ومصانًعا وظلالاَ

ولقد رأيت مَسلّطاً ومملكا ومفّوهًا قد قَيل قالَ وقالاَ

ولقد رأيتُ الموت كيف يبيُدُهْم شيباً وكيف يبيُدُهْم أطْفالاَ[1]

إنّ حالة الشاعرالنفسية قد ظهرت في أبياته حيث استخدم التوكيد "باللام وقد" واستخدم الفعل "رأى" وهو من الموجهات اليقينية التي تضمن حصول الإقناع والتأثير من خلال عرض القضية على المتلقي عرض توجيه وإثبات حسب معطيات الحال ومقتضيات المقام، فالموجهات اليقينية تقوم بحصر وتقييد الحجج التي تكون لقول ما[2] والملفوظات الموسومة بها يتجلى فيها حضور المتكلم في كلامه من حيث هو عمل تظهر ملفوظاته درجة الشدّة للغرض المتضمن في القول.[3]

إن الشاعر يحس بالضعف البدني عندما أفضى إليه الشيب، ولكي يحافظ على توازنه لا بد أن يدفع (الأنى الأعلى) إلى أن تدعم الأنا بشيء من الحكم والمواعظ وأن تذكرها بالسنّة الكونية لهذه الحياة كالموت والفناء وترك المال للوارثين ،ومن جهة أخرى فإن تلك الأبيات تعكس ما لديه من يقين وعبرة بالموت ،إذ أنّه متيقن تمام اليقين من رأيه وحاسم في موقفه وفي ذلك مما لا شكّ فيه من قدرة على التأثير في المتلقي ،وبالتالي فهي تحمل نتيجة ضمنية هي الزهد في الدنيا والاستعداد للموت.

وقوة الفعل الإنجازي لهذه الأبيات تكمن في تكرار التوكيد بـ "قد واللام" وتكرار فعل اليقين "رأيت" ويمكن أن نفهم أن التكرار في هذا الحديث ليس لأن المرسل إليه يشك فيما يقوله وإنما جيء به في الخطاب لتأكيد وتعظيم محتوى الرسالة.

"فالتأكيدأو الزيادة في تأكيد مضمون القضية عبر الموجهات اليقينية هو وسيلة للتعبير عن موقف المتكلم من القضية التي يعرضها"[4].

(1)المصدر السابق، ص 307.

(2) قابط بن حجي العنزوي، التداولية في التفكير البلاغي، دراسة في غرر البلاغة، ص 83.

(3) ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب" الإمامة والسياسة"لابن قتيبة، دراسة تداولية، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة، 2009، 2010،ص262.

(4) المرجع نفسه ،ص247.

من خلال هذا التوضيح يتبين أن التوكيد أحد الأساليب التي تلعب دورا بارزا في التعبير، وتمثل موقعا متقدما في الاستعمال والتأثير فلا يكاد يخلو منه أي تركيب في تأسيسه وبنائه وتوضيحه، أما التكثيف في استعماله فيهدف به المرسل إلى لفت انتباه المتلقي واستمالته عند تقديم حججه ومنحها مزيدا من التوثيق والتبليغ.

3. العطف:

من دلالات العطف في التركيب اللغوي الاشتراك في الحكم، حيث ينزل المعطوف منزلة المعطوف عليه، باستخدام أحد حروف العطف المعروفة.

ولهذا التنزيل بعد حجاجي، كأن يقصد المتكلم إزالة اعتقاد مخاطبه المخالف للإشراك في الحكم، أو أن يؤكد بالعطف عدم صحة شكوكه بشأن ذلك، مما يجعله يكتسب شيئا من دلالات التقوية والإلحاح(1).

ومن أهم حروف العطف التي استخدمها الشاعر بكثرة في ديوانه هو حرف العطف "الواو"، وسنعرض له من خلال الأمثلة الآتية منها قوله:

1. هي الدُّار دُار الأذى والقَذَى   ودُار الفَناَء وَدُار الغَرَر(2)
2. فأنتِ الدُّار فيك الظُّلم والعدوانُ والسَّرفُ
   وأنت الدُّار فيك البغْي والبغضاء والشَّنفُ
   وأنت الدُّار فيك الهُّم والأحزانُ والأسفُ
   وأنت الدُّار فيك الغدُر والتَّنغيصُ والكُلَفُ(3)
3. البغْي والحرصُ والهوى فتنٌ   لم ينجُنها عُجْمٌ ولا عربُ(4)
4. إياك والبغْي والبهتانَ والغيبة   والشَّكَّ والشّركَ والطُّغيانَ والرِّيبة(5)

(1) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مقاربة بين التداولية والشعر، ص 96.
(2) الديوان، ص 161.
(3)المصدر نفسه، ص 242.
(4)المصدر نفسه، ص 24.
(5)المصدر نفسه، ص 51.

5. مازالتِ الدّنيا منغَّصةً لم يخل صَاحِبُهَا من البَلوى

دُار الفجائَع والهمومِ ودا رُالبِّؤسِ والأحزانِ والشَّكَوى[1].

يعد الواو في هذه التراكيب من أهم الروابط الحجاجية، إذ ليس له دور الجمع بين الحجج فحسب بل يقوي الحجج بعضها بعض لتحقيق النتيجة المرادة.

ففي التركيب الأول عطف الغرور ذي الدلالة العامة على الأذى والقذى والفناء للغرض نفسه (الاشتراك في الحكم) وبما أن الدنيا هي دار الأذى والقذى والفناء فهذا يعني أنها دار غرور.

وفي التركيب الثاني عطف السرف على الظلم والعدوان ،فالإسراف يمكن أن يكون الزيادة في الظلم والعدوان، وكذلك عطف التلف على البغي والبغضاء، وعطف الأسف على الهم والأحزان، ويمكن أن يبلغ التدرج مداه في العطف فيكون الكلف معطوف على كل ما سبق وهي خلاصتها ونتيجتها جميع ،أي أن الإنسان مكلف ومسؤول عن كل هذه الأمور، وجاء به المرسل لكي يوضح للمتلقي مقاصده ويضمن بذلك التأثير فيه.

وفي التركيب الثالث عطف الهوى على البغي والحرص للاشتراك في الحكم كونها فتن، كما عطف العرب على العجم أي أن هذه الفتن لم ينج منها العرب بالرغم من أنهم مسلمين (وهذه حجة أقوى) فما بالك بالعجم الغير عارفين بكتاب الله.

وفي التركيب الرابع جاءت الحجج متسقة وغير منفصلة، وكل حجة تقوم بتقوية الحجة الأخرى وذلك بفضل الرابط الحجاجي "الواو" حيث قام بوصل الحجج وترتيبها لتقوية النتيجة الضمنية وهي طاعة الله وعدم الشرك به.

ولا يختلف العطف في التركيب الخامس عما سبق حيث عطف الشكوى على (الفجائع والهموم والبؤس والأحزان) والبعد الحجاجي لهذا العطف أن يأخذ المتكلم مخاطبه من حال إلى أخرى ومن دليل إلى آخر قصد الاقتناع التام بالحكم وضمان حصول التأثير فيه لأن الشكوى هي خلاصة ونتيجة هذه الفجائع والهموم والأحزان.

(1)المصدر السابق، ص 9.

إنّ هذه الكلمات المعطوفة يكرر بعضها بعضا من جهة المعنى بشكل يقترب من الترادف، مما يدفع المتلقي إلى فهم الغاية من الخطاب، ومن ثم يكون التسليم عن دراية واقتناع، وهذا النوع من التكرير يزيد من القوة الحجاجية التي يسعى الشاعر إلى رفعها من خلال الأساليب المستعملة.

4. أسلوب النفي:

يضع أوستين النفي ضمن الصنف الذي وسمه "بالعرضيات أو أفعال الإيضاح، ويندرج هذا الصنف ضمن الأفعال الإنجازية الصريحة، ويدرج "سورل"النفي ضمن الإخباريات ولا يخالف أستاذه إلا في التسمية.

إلى جانب هذا حاول المؤلفان (بيرلمانperlmanوتيتيكاهyuteca)، ضبط الصيغ التعبيرية التي لها دور حجاجي في عرض المعطيات من ذلك النفي، فالنفي إنما هو رد على إثبات فعلي أو محتمل حصوله من قبل الغير فقد كان "برقسون"يرى أن الفكر السالب لا يكون في الكلام إلّا إذا كان الأمر متعلقا بمواجهة الغير أي حين يكون مدار الأمر على الحجاج(1).

إن النفي في عرف المناطقة هو العامل الذي يحول القضية الصحيحة إلى قضية خاطئة والخاطئة إلى صحيحة وهو عامل أحادي "opération unaire"(2).

وفي الدرس اللغوي غير بعيد عن هذا التعريف فابن يعيش يعرف النفي على أنه إكذاب إذ يقول: "إنما يكون على حسب الإيجاب لأنه إكذاب له، فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما إلا أن أحدهما نفي والآخر إيجاب"(3).

فإذا كان "أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية بواسطة "ن" فإن "أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة "لا-ن" ومثال ذلك:

- زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان.
- زيد ليس مجتهد، إنه لم ينجح في الامتحان.

(1) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة، ص320-321.
(2) عز الدين ناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2011، ص 48.
(3)المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فإذا قبلنا الحجاج الوارد في المثال الأول وجب أن نقبل كذلك الحجاج الوارد في المثال الثاني[1].

ولقد استخدم الشاعر أسلوب النفي لأن له تعلق بالحجاج لما يلحقه من مقاصد تخاطبية في إقناع المتلقي من ذلك قوله:

1. إنَّ الغنى في النُّفوسِ والعزُّ تقوى الله لا فضَّةٌ ولا ذهبُ[2]
2. يا صاحبَ الدُّنيا المحبَّ لها أنت الذي لا ينقضي تعَبهُ[3]
3. الموتُ لا والدًا يبقي ولا ولدًا ولا صغيراً ولا شيخًا ولا أحداً[4]
4. اللهُ يُجي من المكروهِ لا حذرٍ وكل خيرٍ وشّرٍ خطَّ بالقدرِ[5]
5. ما يدفُع الموتَ أرصادٌ ولا حرسُ ما يغلبُ الموتَ لا جنٌّ ولا أنسُ[6]
6. لَعْمرُكَ ما الدُّنياَ بدارِ بقاءِ كفاكَ بدارِ الموتِ دار فناءِ[7]
7. لن تُصلحَ النَّاسَ وأنتَ فاسِدُ هيهاتَ ما أبْعدَ ما تُكابدُ[8]
8. ليسَ يبقى ذو يسارِ لا ولا منْ كانَ معسِرْ[9]

فالنفي في هذه التراكيب يبطل اعتقادات المتلقي ويحمل مقاصد حجاجية يريد الشاعر إيصالها إلى المتلقي هي على الترتيب:

1. إن الغنى والعز الحقيقي هو القناعة وتقوى الله.
2. الإنسان القنوع يعيش مرتاحا هادئا.
3. البقاء لله وحده.

(1) حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته ،ج1، ص 60.
(2) الديوان، ص 45.
(3)المصدر نفسه، ص 49.
(4)المصدر نفسه، ص 111.
(5)المصدر نفسه، ص 168.
(6)المصدر نفسه، ص 188.
(7)المصدر نفسه، ص 2.
(8)المصدر نفسه، ص 446.
(9)المصدر نفسه، ص 163.

4. الاستسلام لقضاء الله وقدره.
5. حتمية الموت واستحالة الخلود.
6. الآخرة هي دار البقاء.
7. الإنسان الصالح التقي هو الذي يصلح الناس.
8. الناس سواسية أمام الموت.

إن عاملية النفي الحجاجية لا يمكن إدراكها إلا بإدراك النتيجة التي يريد الباث توجيه جمهوره إليها، والنفي فيما نرى تلفظ على تلفظ فهو توجيه على توجيه لذلك بمجرد إدماج عامل النفي كمفهوم علاوة على وظيفته التوجيهية في الخطاب الحجاجي فإن له قيمة مضافة وهي على حد عبارة ديكرو "أنه ضروري لوصف البنية الدلالية العميقة للملفوظ الذي يبدو غير منفي"[(1)].

وهكذا يتبين أن استعمال حروف النفي (لا، ما، لن، ليس...) في الخطاب الحجاجي يتضمن قوة استلزامية تداولية للقضية المطروحة تسعى إلى اجتثاث جذورها ومنع استمرارها.

5. أسلوب القصر:

يعد القصر من أهم الوسائل اللغوية التي يلجأ إليها المتكلم حتى يوجه خطابه توجيه إثبات وهو "تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص"[(2)].

وينقسم القصر إلى قصر حقيقي وقصر غير حقيقي وكل واحد منهما ضربان قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف.

والأول من الحقيقي كقولك: "ما زيد إلا كاتب" إذا أردت أنه لا يتصف بصفة غير الكتابة.

والثاني قولنا: "ما في الدار إلا زيد".

والفرق بينهما ظاهر، فإن الموصوف في الأول لا يمتنع أن يشاركه غيره في الصفة المذكورة، وفي الثاني يمتنع[(3)].

---

(1) عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 50- 51.
(2) علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 217.
(3) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 98-99.

ويقوم القصر أساسا على تحديد موقف السامع ممّا يتلقاه، وتغيير ما يعتقده إذا كان مخالفا للحكم، -وهو بهذا المفهوم- يشترك مع مجالات اللسانيات التداولية التي تتناول ما يرتبط بالسامع في دراستها للغة[1].

وفيما يلي سنحاول أن نبين البعد الحجاجي لما تتضمنه البنية القصرية من قوة إنجازية والتي تمثل في معظم الأحوال الحجج التي يسوقها المرسل في خطابه.

وقد تحقق القصر في شعر أبي العتاهية عن طريق مجموعة من العوامل الحجاجية "ما..إلا"، "لا...إلا"، "إنما".

- **حجاجية العامل الحجاجي "ما...إلا"، "لا...إلا".**

إن العامل الحجاجي "ما...إلا" يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض، وهذا ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه بفعل شيء ما[2]، كما نبينه من خلال الأمثلة الآتية:

1. أشدُّ الجهادِ جهادُ الهوى وما كَرَّمَ المرءِ إلاّ التُّقى[3]
2. وما من غايةٍ إلاّ المنَايا لمن خَلقَتْ شبيبتهُ وشَابَا[4]
3. وما النَّاس إلاّ حيّ وابن ميّتٍ تأجَّل حيٌّ منهم أو تعجَّلا[5]
4. ما النَّاسُ إلاّ مع الدُّنيا وصاحِبها فكيف ما انقلبتْ يوًما به انقلبوا[6]
5. لا فخْر إلّا فخْر أهلِ التُّقى غدًا إذاضَّمهُمُ المحشرِ[7]
6. لا عيشَ إلّا الموتُ يقطعهُ لا شيء دَونَ الموتِ يمنعُه[8]

(1) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم، ص 186.
(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص520.
(3) الديوان، ص، 7.
(4) المصدر نفسه، ص 21.
(5) المصدر نفسه،304.
(6) المصدر نفسه، ص 22.
(7) المصدر نفسه، ص 152.
(8) المصدر نفسه، ص 234.

هذه الأبيات هي بمثابة حجج قدمها الشاعر إلى المتلقي حتى يحصل على استجابة من مخاطبه، وقد جاءت في بنية قصريةحتى تكون موغلة في الحجاج، فهذه التراكيب تندرج في سياق حجاجي يمثله إنكار المخاطب وإقناع المتكلم له واستعمال أسلوب القصر ما هو إلا قلب لمعتقد المخاطب.

ففي البيت الأول خصص كرم المرء بالتقى ،بمعنى أن كرم المرء خاص بالتقى ولا يتعداه إلى أشياءأخرى سواها لمن يعتقد أن كرم المرء خاص بأشياء أخرى غير التقى كالأشياء المادية مثلا وغيرها.

وفي البيت الثاني والثالث قصر الغاية التي من أجلها خلق الإنسان في الموت ،بمعنى أن غاية الإنسان خاصة بالموت، وذلك لدفع اللبس ولرد اعتقاد من غرتهم الحياة والأماني ويظنون بأنهم سيخلدون في هذه الدنيا.

وهكذا يقال في بقية الأمثلة تقريبا لها نفس المعنى.

- **حجاجية العامل الحجاجي "إنّما":**

يلجأ المخاطب إلى استعمال أسلوب القصر بواسطة الأداة "إنما" حتى يحقق الغرض التخاطبي، والسبب في إفادة إنمّا معنى القصر هو تضمينه معنى "ما...إلا"، وترى أئمة النحو يقولون "إنما" تأتي إثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه(1).

ويرى عبد القاهر الجرجاني أنّ "إنما" يؤتى بها لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته ولكن لمن يعلمه ويقربه "اعلم أن موضوع "إنما" على أن تجيء بخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته ولكن لمن يعلمه ويقر به"(2).

1. إنمّا الدُّنيا بلاءٌ وكَدٌ   واكتئابٌ قد يسوقُ اكتئابا(3)

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 520.

(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 254.

(3) الديوان، ص 40.

2. إنّما الدّنياك يوم واحدٌ فإذا يومكَ ولّى يعدُ[1]

3. إنّما الدُّنيا غُرورٌ كلُّها مثلُ لمع الآلِ في الأرضِ القفارْ[2]

4. إنمَّا الدُّنيا بلاغٌ لقومٍ هو في أيديهِم مستعارُ[3]

5. إنمَّا الدُّنيا متاعٌ زائلٌ فاقتصِدْ فيه وخُذْ منه ودَعْ[4]

هذه التراكيب اللغوية قدمها الشاعر للمتلقي تذكيرا وتوكيدا له بأنّ الدّنيا هي دار الفناء والغرور وبالتالي تخدم نتيجة ضمنية من قبيل "الآخرة دار الخلود" أو من قبيل "الدنيا مزرعة الآخرة". فكان الفعل الحجاجي أقوى بوجود العامل الحجاجي "إنّما" مما لو لم يكن العامل الحجاجي موجود (الدنيا بلاء وكد، الدنيا يوم واحد، الدنيا غرور...).

فغاية ما أحدثه العامل الحجاجي في هذه الأمثلة هو شحن وتحويل المضمون الخبري القائم ليؤدي وظيفة تتلاءم مع الإستراتيجية الحجاجية للمتكلم.

والذي نخلص إليه من خلال الأمثلة السابقة أنها ذات قيمة حجاجية، فإذا كانت الأمثلة "القصر بـ: ما...إلا" واضحة القيمة الحجاجية من خلال اندراجها في سياق حجاجي يمثله إنكار المخاطب وإقناع المتكلم، فإن الأمثلة –القصر بإنمّا- ذات قيمة حجاجية أقل من حيث كون المتكلم فيها يسعى إلى تنبيه المخاطب بمعارفه السابقة وتأكيدها في نفسه مما يندرج ضمن مبدأ الإقناع عموما، وعلى هذا تظهر النتيجة الحجاجية من العبارتين نتيجة متضمنة وغير صريحة يدل عليها الاستعمال الذي يختلف حسب السياق[5].

إنّ التوكيد بالقصر هو عمل لغوي يلجأ إليه المتكلم فيجعل المتلقي يسير في الاتجاه الذي يرسمه له، لأن القصر جنوح من المتكلم إلى تثبيت مايريده في نفس السامع ،كما يدفع هذا العمل اللغوي

(1)المصدر السابق، ص 109.

(2)المصدر نفسه، ص 155.

(3)المصدر نفسه، ص 156.

(4)المصدر نفسه، ص 218.

(5) محمود طلحة، القيمة الحجاجية لأسلوب القصر في اللغة العربية، مجلة الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع. تيزي وزو، العدد 3، ماي 2008، ص 115، 116.

المتلقي في سياقات أخرى إلى إعمال طاقة الاستنتاج لديه، وغياب هذا العامل يجعل الكلام لمجرد الإبلاغ والإخبار وتكتفي اللغة بوظيفتها الإخبارية ولا تتعداها إلى الحجاجية.

6. أسلوب الشرط:

يعد أسلوب الشرط سمة جوهرية للنص الحجاجي، إذ يسهم في بناء الاستدلال وفق الوجهة التي يرغب فيها المحاجج، ذلك أن أسلوب الشرط يقوم على التلازم الضروري بين فعل الشرط وجوابه، ما دام أن فعل الشرط يتنزل منزلة المسلم به، والمعلوم والمعنى المشترك المتعارف عليه الذي يبنى عليه استنتاج غير المسلم به وغير المعلوم[1].

إن التركيب الشرطي وحدة نحوية تحمل قضية تنحل إلى طرفين ثانيهما معلق بمقدمة يتضمنها الأول، والعامل الذي تنعقد به القضية قد يكون لفظا صريحا وهو الأداة وقد يكون مضمرا نحويا في صلب التركيب وهو سياق الطلب[2].

ولقد اعتمد أبو العتاهية أسلوب الشرط في ديوانه بهذا البعد الحجاجي وبشكل مكثف يعكس جهدا واضحا في الاستدلال وحمل المتلقي على الإقناع والإذعان ومن ذلك قوله:

مَنْ لَمْ يكُنْ بالكفافِ مُقْتنعًا   لم تكفِهِ الأرضُ كلُّها ذَهَبُ
من أمكن الشَّكَّ من عَزيمتِهِ   لم يَزِلِ الرَّأْيُ منه يُضْطَرِبُ
من عرفَ الدَّهَر لم يزلْ حذِراً   يحذُر شدَّاتِهِ ويرْتقبُ
من لزم الحقدَ لم يزل كمداً   تغْرقُهُ في بحُورِهَا الكُرَبُ[3]

إن توظيف حرف الشرط "من" جاء لتحقيق مقاصد حجاجية لا تتم إلا بها، فهي تقوم على حجة تستمد قوتها الإقناعية من التجربة والمعرفة المشتركة التي يشهد بها الحس والواقع، وبهذا يتم الانطلاق من مقدمات يقينية من أجل دفع المتلقي إلى الإقناع والتسليم.

(1) حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج4 ،ص 329.
(2) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر لعربي القديم، ص 336.
(3) الديوان، ص 24.

وهذه الأبيات قد بنيت على أسلوب شرطي مكون من جملة الشرط والتي هي بمثابة مقدمات (حجج) وجملة جواب الشرط والتي تمثل النتيجة.

فأول الحجج أن الإنسان عندما لا يقتنع بالقليل ،فالنتيجة أن الكثير لا يكفيه.

وثاني الحجج أن الإنسان عندما يتمكن منه الظّن والشّك ،يصبح عديم الرأي (نتيجة).

وثالث الحجج أن مجرب الدهر ونوازله ،يصبح حذرا خائفا (نتيجة).

ورابع الحجج تمكن الحقد من الإنسان، النتيجة ← المعاناة الدائمة.

2-إذا أبقتِ الدُّنيا على المرءِ دينَهُ فما فاتهُ منها فليس بضَائرِ

إذا أنت لم تَزِد على كلِّ نعمةٍ خُصصتَ بها شُكراً فلستَ بشَاكرِ

إذا أنت لم تُؤْثِرْ رضا اللهِ وحْدَهُ على كُلِّ ما تهوى فلستَ بصَابرِ

إذا أنت لم تَطْهُرْ من الجهَلِ والخنَا فلسْتَ على عوْمِ الفُراتِ بطاهِرِ

إذا كنت بالدُّنيا بصيراً فإنّما بلاغُكَ منها مثلُ زادِ المسافرِ(1)

إنّ توظيف اسم الشرط "إذا" الذي يعد ظرفا لما يستقبل من الزمان لا يخلو من أبعاد حجاجية، لأن "إذا" لا تدخل على المشكوك فيه، وإنما تدخل على المتيقن وجوده أو الراجح.

وهذه الأبيات جاءت مبنية على أسلوب شرطي وجاء جواب الشرط فيها منفي ولهذا يمكننا قراءتها القراءة التالية:

- الإنسان التائب لن يحاسب على ما فاته لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.
- الشكر الحقيقي هو الزيادة في الشكر على النعمة.
- الصبر الحقيقي هو ترك هوى النفس ورغباتها إيثارا لرضى الله.
- طهارة الإنسان الحقيقية هي طهارة الروح والنفس.
- الإنسان البصير بالدنيا هو الذي يكتفي بالقليل.

(1)المصدر السابق، ص 149.

إن أسلوب الشرط يوفر علاقة حجاجية تسمى علاقة الاقتضاء "وهي ذات طاقة حجاجية عالية لأنها ككل علاقة حجاجية تصل الحجة بالنتيجة المرصودة للخطاب ولكنها تتميز عن كل علاقة بأنها تجعل الحجة تقتضي تلك النتيجة اقتضاء"[1].

إذن هناك علاقة اقتضاء في التراكيب أعلاه قائمة على الشرط وجوابه هذه العلاقة تخدم نتيجة عامة من قبيل أن من لم تتوفر فيه هذه السمات يخرج بذلك من دائرة الإيمان ويدخل في دائرة الكفر.

7. التكرار:

يؤكد منظرو الحجاج على أهمية التكرار بوصفه وسيلة يرمى من خلالها عرض الخطاب عرضا حجاجيا لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير بها.

والتكرار "هو شكل من أشكال الإتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما"[2].

كما أعتبر التكرار طريقة من طرق العرض ذات الأثر الحجاجي وهذا ما أكده كل من بيرلمان وتيتيكاه "كثرة إيراد الحكايات الدائرة حول موضوع واحد وإن تعارضت هذه الحكايات وتضاربت فهذا من شأنه أن يلفت الانتباه إلى أهمية الموضوع الذي تراكمت حوله الحكايات"[3].

بمعنى أن التكرار يوفر لها طاقة مضافة تحدث أثرا جليلا في المتلقي وتساعد على نحو فّعال في إقناعه أو حمله على الإذعان، وذلك أن التكرار يساعد أولا على التبليغ والإفهام ويعين المتكلم ثانيا على ترسيخ الرأي أو الفكرة في الأذهان فإذا ردد المحتج لفكرة ما أدركت مراميها وبانت مقاصدها ورسخت في ذهن المتلقي وإن ردد رابطا حجاجيا أقام تناغما بينا بين أجزاء الخطاب وأكد الوحدة بين الأقسام أو أوهم المتلقي بها[4].

(1) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 335.
(2) محمّد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991، ص 24.
(3) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج -الخطابة الجديدة، لبيرلمان وتيتيكاه، ص 318.
(4) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 168.

والتكرار الذي نتناوله بالدراسة كما يرى أبو بكر العزاوي: " ليس هو ذلك التكرار المولد للرتابة والملل، أو التكرار المولد للخلل والهلهلة في البناء ولكنه التكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية بناء النص أو الكلام بصفة عامة، إنه التكرار الذي يسمح لنا بتوليد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانزمات عملية إنتاج الكلام. وهو أيضا التكرار الذي يضمن انسجامه وتوالده وتناميه"(1).

وقدمت محاولات عدة لتصنيف أنواع التكرار. ومن أشهر التصنيفات ما قدمه ابن الأثير:

أ- التكرير في اللفظ والمعنى.

ب-التكرير في المعنى دون اللفظ.

أما الذي يوجد في اللفظ والمعنى كقولك لمن تستدعيه: "أسرع أسرع" وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ كقولك: "اطعني ولا تعصني" فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية(2).

يأخذ التكرار قيمته الحجاجية من حيث إنّ المتكلم يستخدمه حين يرغب تثبيت الحكم في نفس المخاطب وتقريره في قلبه، وأبو العتاهية مولع بالتكرار في شعره الزهدي لأنه يوفر له خاصية مهمة من خصائص خطابه الوعظي، بحيث نراه وكأنه يريد أن يقرع الأذن بتكرار لفظة بعينها من أجل تنبيه السامع أو زجره حيث نجد التكرار عنده يشمل عناصر عديدة منها تكرار الألفاظ، تكرار المعاني... ولننظر مثلا إلى قوله:

أيُّ يومٍ يومُ المِلَقِّ وإذا أنتَ تُناَدى فما تُجيبُ المنادِي
أيُّ يومٍ يومُ الفراقِ وإذ نَفْسكَ تَرقَى عن الحشا والفُؤادِ
أيُّ يومٍ يومُ الفراقِ وإذا أنت من النَّزْعِ في أشَدِّ الجهادِ
أيُّ يومٍ يومُ الصُّراخِ وإذ يلْطُمنَ حرَّ جوهِهِنَّ والأجيادِ(3)

(1) أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 49.
(2) ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3، ص 3.
(3) الديوان، ص 113.

فتكرار عبارة الاستفهام التقريري "أيّ يوم يوم..." أكثر من مرة عبارة عن حجج معتمدة في تأكيد وتهويل يوم الفراق والرحيل (الموت) ولكنه رحيل دائم لا عودة منه، رحيل الأجل وما يعقبه من خطوب عظيمة.

وبعد ذكر الموت وما فيه من خطب عظيم يلجأ الشاعر إلى التكرار اللفظي في سياق آخر وهو سياق العتاب واللوم والحسرة في قوله:

لو بذلتُ النُّصْحَ الصَّحيَح لنفسي لم تذُقْ مقْلتايَ طعْم الرُّقادِ
لو بذلتُ النُّصَح الصَّحيَح لنفسي همتُ أُخَو الزَّمانِ في كل وادِ[1].

فتكرار صدر البيت حجة قوية على شعور الشاعر بالندم على ما فرط في جانب الله بما اقترف من خطايا والتي تدفعه إلى اليأس، كما أن هذا التكرار يجيش بعاطفة قوية مفعمة بروح التوبة والندم العميق.

على أننا نظفر بهذا التكرار اللفظي أيضا في قوله:

كم وكم في القُبورِ من أهْلِ مُلكِ كم وكم في القُبورِمن قُوَّادِ
كم وكم في القُبورِ من أهلِ دُنيا كم وكم في القُبورِ من زُهَّادِ[2]

فالشاعر هنا يعد ويحصي ما في القبور من موتى من أهل ملك وقادة ومحبين للدّنيا وزّهاد، وللتكرار اللفظي بهذه الأشكال المختلفة وقع في القلوب وأثر بليغ في الأسماع والأذهان مما جعله رافدا مهما للحجاج.

وقد أورد الشاعر التكرار اللفظي سعيا منه إلى إقناع المتلقي بدعاويه فنجده يعود في كل مرة إلى نفس اللفظة حتى يعيد تثبيت الفكرة مما يجعل محتوى الخطاب مفهوما أكثر ويزيد في فهم المتلقي في جذب انتباهه وبالتالي دحض ما يخالفها من دعاوى ،ضف إلى ذلك أن التكرار ورد في الألفاظ المؤثرة التي لا بد من تكرارها بالصيغة نفسها حتى تؤدي غرضها التأثيري.

(1)المصدر السابق، ص 114.
(2) المصدر نفسه، ص 114.

أما النوع الثاني من التكرار يتمثل في إعادة الحجة أو الدليل لا بلفظه بل بمعناه ويتمثل في تكرار المضمون، ويبنى تكرير المضمون أو المحتوى على مكونات لغوية مترادفة أو مشتركة في جزء من المعنى[1]، وقد ورد تكرار المضمون عند أبو العتاهية بنسبة لا تقل عن التكرار اللفظي، وهذا يدل على سعة المخزون اللغوي لدى الشاعر بما يضمن له إعادة المعنى بصياغة جديدة هذا النوع من التكرار نجده في قوله:

أَيا إِخْوتي آَجالُنا تَتَقرَّبُ ونحُن مع اللاَّهينَ نَلْهو ونَلَعبُ

عِدُّ أُعِدُ أيَّامي وأُحْصِي حِسابهاَ وما غَفْلَتِي عمَّا أُعِدُّ وأَحَسبُ

غدًا أنا من ذا اليوَم أدنى إلى الفَناَ وبعدَ غَدٍ أدنى إِلَيه وأَقربُ[2].

أَيلُهو ويلعبُ من نفُسهُ تموتُ ومنزلُه يُخرَبُ[3]

إن اختيار الشاعر لهذه المفردات المترادفة [نلهو=نلعب، أعد=أحسب، أعدد=أحصي، أدنى=أقرب، أيلهو=يلعب] عبارة عن حجج لها أهميةخاصة في دفع المعنى إلى درجة أقوى، وهو ما يزيد من فاعلية هذه الآلية اللغوية في إقناع المخاطب بدنو الموت واستدراك الآجال بالأعمال الصالحة.

ويتجاوز الشاعر تكرار الكلمة المفردة إلى التكرار في المعاني بأساليب وأشكال مختلفة، يقلبها كيف يشاء ويصبها في قالب واحد، وفكرة واحدة تدور حول "الموت والحياة" ويسمى هذا النوع من التكرار بـ "التكرير بإعادة الصياغة" وهو تكرير بتغيير التركيب يتسع فيه المدى عادة بين الشكل الأول والشكل الثاني[4]، من ذلك قوله:

المنايا تجوُسُ كلَّ البلادِ والمنايا تُفْني جميع العبادِ[5]

(1) حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته ج4، ص 39.

(2) الديوان، ص 26.

(3)المصدر نفسه، ص 38.

(4) حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته،ج4، ص 38.

(5) الديوان، ص 112.

ما يدفعُ الموتُ أرصادٌ ولا حَرَسٌ ما يغْلبُ الموتَ لا جِنٌ ولا أنسُ[(1)]

هو الموتُ الذي لا بدَّ منْه فلا يلعبْ بكَ الأمَلُ الكذوبُ[(2)]

وما النَّاسُ إلّا ميِّتٌ وابنُ ميِّتٍ تأجَّل حيٌّ منهُم أو تَعجَّلا[(3)]

الموتُ بابٌ وكلُّ النَّاسِ داخلُهُ فليتَ شعري بعدَ البابِ ما الدَّار؟[(4)]

ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائد الشاعر من هذه الفكرة، فجميع هذه المعاني تحتج لفكرة واحدة هذه الحجّة هي: "حتمية الموت واستحالة الخلود" وفي هذا عظة وعبرة ليفهم منها المتلقي أن مصيره إلى الزوال وأنّه يجب أن يستعد لليوم الذي يفارق فيه الدنيا إلى غير رجعة.

وهذا النوع من التكرار نجده أيضا في حديثه عن الشيب الذي يقرع ناقوس الموت فوق رأس المرء في خريف العمر، وأبو العتاهية لا يرى في الشيب سوى الناعي الذي ينذر بدنو الأجل ويدفع الإنسان إلى حتفه، ولم يجد من سبيل لإقناع المتلقي سوى زيادة حضور الفكرة في ذهن المتلقي وتقريبها من خلال ترديدها بقوله:

وُمدافُعِ للشَّيبِ يَخْضِبهُ والشَّيبُ نحو المْوتِ يقودُه[(5)]

وإذا المشِيبُ رَمى بوَهْنتَهِ وَهتِ القُوى وتقَاربَ الخطْوُ[(6)]

فَلقَدْ نَعاكَ الشَّيبُ يو مَ رأيتَ رأسَكَ أشْيبا[(7)]

إنمَّا الشَّيبُ لابنِ آدَم ناعٍ قام في عارِضيه ثمَّ نَعاه[(8)]

ومن أشكال التكرار الذي استخدمه الشاعر أيضا التكرار الجزئي....

ويميز علماء اللسانيات النصية بين التكرار التام والجزئي الذي يقوم على الاستعمال المختلف

(1)المصدر السابق، ص 188.
(2)المصدر نفسه، ص 22.
(3)المصدر نفسه، ص 304.
(4)المصدر نفسه، ص 141.
(5)المصدر نفسه، ص 234.
(6)المصدر نفسه، ص 429.
(7) المصدر نفسه، ص 46.
(8)المصدر نفسه، ص 415.

للجذر اللساني للمادة المعجمية نفسها، ويعد هذا النوع بالذات من أهم الآليات اللسانية التي تحقق الوظيفة الإقناعية في النصوص الحجاجية[1].

كقوله:

رَكِنَّا إلى الدُّنْيَا فطَالَ رُكُونُنَا ولسنا نرى الدُّنيا على ذاكَ مَنْزِلَا

لَقَدْ كانَ أقْوَامٌ من النَّاسِ قَبْلنَا يَحُلُّونَ منهُنَّ الحَلَالَ المحلَّلا[2]

وكم من ذليلٍ عزَّ من بعدِ ذِلَّةٍ وكم من رفيعٍ كان قد صَارَ في الأرضِ أسْفَلاَ

تُنَافِسُ في الدُّنيا لَتَبْلُغَ عِزَّها ولَسْتَ تنالُ العِزَّ حتَّى تَذَلَّلاَ

وما الفَضْلُ في أن يُؤْثِرِ الْمرءَ نَفْسَهُ ولكنَّ فَضْلَ الْمرءِ أن يَتَفَضَّلا[3]

فالتكرار الجزئي (الاشتقاقي) في قوله: (ركنا وركوننا، الحلال والمحلّلا، ذليل وذلّة، عزّها والعزّ، فضل ويتفضّلا) مثل ملمحا أسلوبيا مميزا لدى الشاعر لتأكيد المعنى وتثبيت الفكرة.

من هنا نستنتج أن للتكرار قيمة حجاجية تتمثل في اهتمام المتكلم بالمخاطب، فهو من الظواهر اللسانية التي تلبي حاجة ذهنية ونفسية في حياة المتكلم، حين يعلم أن خبرا ما يثير في ذهن مخاطبه احتمالات عدة فيلجأ إلى التكرار إزالة لهذه الاحتمالات وتقوية للمعنى المراد توصيله له.

(1) نعمان بوقرة، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل قراءات نصية تداولية حجاجية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص 176.
(2) الديوان، ص 304.
(3)المصدر نفسه، ص 305.

خلاصة الفصل:

بعدما تم تحليله من أساليب لغوية اتضح لنا أن أبا العتاهية اعتمد هذه الأفعال اللغوية لتقرير الحقائق في ذهن المتلقي خاصة عندما يكون المقام مقام تعليم وإرشاد ووعظ، فإن الجمل التقريرية تكون أكثر ملائمة لتحقيق هذا الغرض.

وقد استعمل هذه الآليات بشكل واضح بعيد عن اللبس، واعتمد بشكل لافت على الأمر والنهي والاستفهام والتوكيد... بحكم أنها الأكثر تداولا في الكلام ثم وظفها مرارا وتكرارا من دون ملل أو سأم، والسبب في ذلك ليس اعتباطيا أو من قبيل المصادفة، بل إن السبب الحقيقي من وراء تكرار هذه الأساليب هو تأكيد أفكاره ومقاصده وتثبيتها في النفوس وترسيخها عقيدة ثابتة حتى لا يرقى إليها الشك في ذهن المتلقي، ومن ثم فإن هدفه ليس إخبار المتلقي وتقديم المعلومات فحسب بل توجيهه إلى ما فيه مصلحة له ،شأنه في ذلك شأن الوعاظ الزاهدين الذين يريدون من وراء شعرهم إصلاح المجتمع وبعث الإيمان في القلوب الخاوية من ذكر الله لعلّه يحي النفوس الميتّة وينعش الإحساس المتبلد.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الإقناع لا يقتصر على هذه الوسائل اللغوية فقط ،بل هو هدف يتحقق عبر توسل وسائل مختلفة من أهمها الوسائل البلاغية، لأن الفعالية الحجاجية بوصفها فعالية خطابية لا تظهر وتتجسم لغويا إلاّ بمهارات وتأثيرات بلاغية، والتي سنسعى إلى استكشافها من خلال الوقوف على بعض النماذج والمتضمنة لمثل هذه الآليات الحجاجية.

الفصل الثالث

آليات الحجاج البلاغية
في زهديات أبي العتاهية

تمهيد:

تعد البلاغة آلية من آليات الحجاج، وذلك لاعتمادها الاستمالة والتأثير عن طريق مختلف الأساليب البلاغية المعروفة، أي إقناع المتلقي عن طريق استمالة تفكيره ومشاعره معا حتى يتقبل قضية ما.

ولا نعني بالبلاغة المعنى الأسلوبي للكلمة، فلن نهتم في هذا الفصل باستعراض الأساليب البلاغية التي يعتمدها الشعراء فذاك مشغل بلاغي صرف والذي يهمنا هو الوظائف الحجاجية التي تؤديها الصور البلاغية ضمن الحجاج انطلاقا من" أن البلاغة هي علم الخطاب الاحتمالي الهادف إلى التأثير أو الإقناع أو هما معا إيهاما أو تصديقا"(1).

والأساليب البلاغية قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية، بل لتؤدي وظيفة إقناعية استدلالية.ومن هنا يتبين أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية ولإفادة أبعاد تداولية(2).

وسوف نقوم بتحليل بعض النماذج البلاغية في ديوان أبي العتاهية، والمتأمل في شعره يسجل اهتمام الشاعر بالإقناع واضح في مجموع قصائده، وهو حريص على تبليغ مقاصده إلى سامعيه مستندا إلى وسائل إقناعية: كالتفريع، والاستعارة وبعض المحسنات البديعية كالطباق والمقابلة، وكذلك تضمين بعض الأسماء والآيات القرآنية والحكمة، سوف نحللها ونبرز كيف اضطلعت بدور حجاجيا.

(1)محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص 6.

(2)صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، ط1، 2008، ص 50.

1. تقسيم الكل إلى أجزائه (التفريع):

هوأن يذكر المرسل حجته كليا في أّول الأمر، ثم يعود إلى تفنيدها وتعداد أجزائها، إن كانت ذات أجزاء، وذلك ليحافظ على قوتها الحجاجية، فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه(1).

إنّ الغاية الأساسية في استخدام المحاّجة بالتقسيم حسب برلمان هو البرهنة على وجود المجموع ومن ثمة تقوية الحضور بمعنى اشعار الغير بوجود الشيء موضوع التقسيم من خلال التصريح بوجود أجزائه(2).

والمتأمل في زهديات أبي العتاهية يلاحظ شيوع هذه الحجة، حيث يقوم الشاعر بعرض قضية، ثم يتوسع فيها عن طريق دعمها بمجموعة من الحجج وكل حجة من هذه الحجج تؤكد هذه القضية،ومن ثم لا يجد المتلقي صعوبة في عملية الفهم والإقناع وسوف نعرض بعض الأمثلة منها:

1 - قوله:

أَين الأُلىَ نوُا الحصُونَ وَجنَّدُوا فيَها الجنُوَد تعزُّ اًزأين الأُلَى

أَين الحَمُةَ الصَّابرونَ حِميَّةَ يوَم الهيِاجِ لّحِ تَجُّلِ ب القَناَ(3)

وذُوو المنابرِ و العساكرِ و الدَّسا كرِ والمحاضِرِ والمدائنِ والقُ ىَر

وذُوو المواكبِ والمراكبِ والكتائبِ والنَّجائبِ والمراتبِفيِ العُ لىَ

أفنْاهُم ملكَ الملُوكِ فأَصْبحُوا ما منُهْم أَحدٌ يُحُّس ولا ي ىُرَ(4)

فالشاعر هنا طرح قضية (حجة) عامة صاغها في استفهام تقريري (أين الألى...) ثم جزء هذه القضية إلى عدة أجزاء (أين الحماة الصابرون...وذوو المنابر والعساكر... وذوو المواكب والمراكب...) وكل جزء من هذه الأجزاء يخدم القضية المطروحة ليصل إلى النتيجة في البيت الخامس وهي: أنّ الله سبحانه وتعالى أفناهم فلم يبق لهم أثرا (ما منهم أحد يحس ولا يرى).

(1)عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 494.

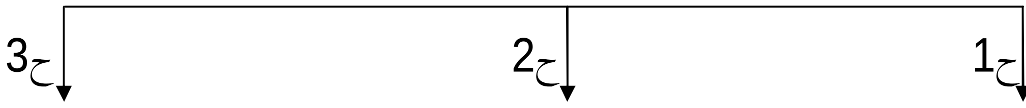
(2)عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه، ص331.

(3)الديوان، ص 14.

(4)المصدر نفسه، ص 15.

ويمكن تجسيد هذه القضية على النحو الآتي:

أين الأولى بنوا الحصون وجنّدوا...



أين الحماة الصابرون حمية .. وذوو المنابر والعساكر والدساكر... وذوو المواكب والمراكب

2-قوله:

زرتُ القُبورَ قُبورَ أهْل الملك في الدُّنيا، وأهلِ التَّعِ في الشَّهواتِ
كانوا ملوكَ مآكلٍ ، ومشاربٍ ومَلابسٍ، وروائحٍ، عَطِراتِ
فإذا بأجسادٍ عرَين من الكسا وبأوجه في التُّرب مْنَعفراتِ
لم تبقِ منها الأرضُ غير جماجِم بيضٍ، تَلوحُ وأعْظُمٍ نَخِرات
إنَّ المقابِر ماالِعْمتَ لمنظُر يهُدي الشَّجَا، ويُهيِّجُ العبراتِ(1)

يتحدث الشاعر هنا عن زيارة أهل القبور، وقد خصص هذه الزيارة لأهل الملك وأصحاب الشهوات، هذه الزيارة تعد قضية طرحها الشاعر ودعمها بمجموعة من الحجج انتقل فيها من العام إلى الخاص ومن مستوى استدلالي إلى آخر.

فأهل القبور كانوا على قيد الحياة يتنعمون بعيشها (كانوا ملوك مآكل ومشارب...) ثم صاروا أمواتا (عريت أجسادهم من الكسا...).

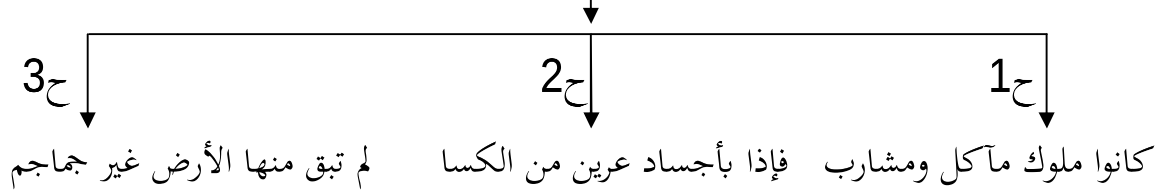
بعدها أصبحوا عظاما بالية (لم تبق الأرض منها غير جماجم...)

ليصل أخيرا إلى النتيجة وهي منظر المقابر وما يثيره من حزن وبكاء.

ويمكن أن نمثلها على النحو الآتي:

(1)المصدر السابق ص57.

القضية الإجمالية: زيارة القبور (أهل الملك وأصحاب الشهوات).



3- قوله:

أيّها ذا النّاس ما حلّ بكُمْ   عَجباً من سهوِكم كلَّ العجبْ!
أَسَقامٌ ثمّ موتٌ نــــازِل   ثمّ قَبرٌ ونُزولٌ وَجلَبْ
وحِسابٌ وكتابٌ حافِــظٌ   وَموازِينٌ ونارٌ تَلتَهِبْ
وصِراطٌ مَن يَزُلْ عن حَدّهِ   فإلى خِزْيٍ طَويلٍ ونَصَبْ
حَسْبيَ اللهُ إلهاً عــادِلاً   لا لَعَمرُ اللهِ ما ذا بِلَعِبْ[1]

يظهر الاستدلال في هذه الأبيات من خلال العرض التدريجي الذي توخاه الشاعر، حيث قام بعرض قضية عامة بتوجيه خطابه إلى المتلقي عن طريق النداء واسم الإشارة (أيها ذا الناس) والاستفهام (ما حل بكم) والتعجب (عجبا من سهوكم كل العجب) لأن الإخبار المباشر والتبليغ لا يحققان الغرض من الخطاب.

هذه القضية هي غفلة الإنسان وسهوه عن الموت، وقد توسع الشاعر في عرضها عن طريق تدعيمها بمجموعة من الحجج انتقل فيها تدريجيا من القريب إلى البعيد حسب الترتيب: 1- الأسقام والأمراض، 2-الموت 3- القبر، 4- وما بعد القبر من نشور وحساب وموازين وغيرها مما يتعلق بالبعث، فكان لزاما أن يبني هذه الصورة مشهدا مشهدا لتكمل بامتدادها القصد الذي يحدده.

ليصل إلى النتيجة في البيت الخامس وهي: أن كل ما ذكره حقيقة وليس بلعب نافيا بذلك اعتقاد المخاطب بأداة النفي "لا" ومؤكدا كلامه بالقسم واللام "لعمر الله" من أجل دفعه إلى

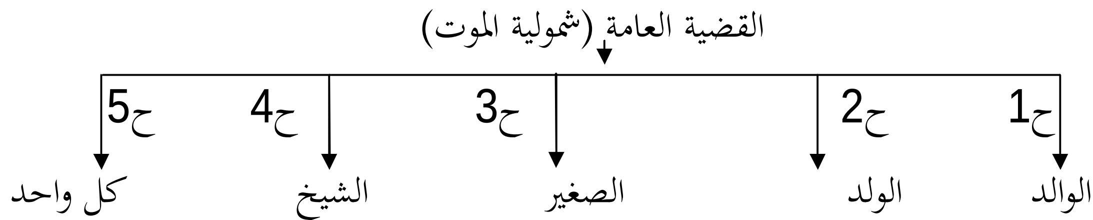
(1)المصدر السابق، ص 30.

الوثوق به لأن القسم من أكثر الموجهات اليقينية إثبات فهو "إذ يثبت القضية ويوجبها يقيم في الوقت نفسه الحجة على المخاطب ويلزمه بها"(1).

4: قوله:

المَوتُ لَا وَالِدًا يُبقِي وَلَا وَلَدَا ... وَلَا صَغِيرًا وَلَا شَيخًا وَلا أَحَدًا(2)

فالشاعر هنا عرض أطروحة هي شمولية الموت، ثم فرعها إلى أجزاء وهذه الأجزاء تمثل حجج تدعمها هي: الوالد، الولد، الصغير، الشيخ، وكل أحد ،ويمكن تمثيلها على النحو الآتي:



نستنتج من خلال ما سبق أن هذه الحجج الجزئية تدعم القضية الإجمالية، ولو حذفنا منها واحدة تضعف دعوى المتكلم، ويتنامى الضعف فيها بقدر حذف أو إلغاء بعض الأجزاء لأن ما ينطبق على كل جزء من هذه الأجزاء ينطبق على الكل ،يقول quintilien في ذلك: "إن نسقط عند تعدادنا الأجزاء فرضية واحدة يهو صرحنا الحجاجي كله ونصبح ضحكة الجميع"(3).

أي أن إلغاء جزء من هذه الأجزاء والتي هي حجج يؤدي إلى اختلال المعنى ولا يستطيع المتكلم أن يصل إلى غرضه وقصده.

2. البديع:

يؤدي البديع دورا حجاجيا هاما لا على سبيل الزخرف اللفظي ولكن بهدف التأثير والإقناع فهو ركن مهّم في العبارة لا يمكن الاستغناء عنه،ولولا ذلك لم يحفل به القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ولم يزدهر به كلام العرب البليغ ،يقول صابر الحباشة: "إن محسنا لهو حجاجي إذا كان استعماله، وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر، يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة.وعلى

(1)عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية، ص 320.

(2) الديوان، ص 111.

(3) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال "مصنف في الحجاج –الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه، ص 331.

العكس من ذلك، فإن لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فإنّ المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة، أي باعتباره محسن أسلوب، ويعود ذلك إلى تقصيره عن آداء دور الإقناع"[1].

وقد استخدم الشاعر البديع كوسيلة حجاجية من أجل التأثير في المتلقي والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد يتّضح ذلك من خلال اهتمامه بالثنائيات، ونعي بذلك الطباق والمقابلة وانتشار هذه الظاهرة في شعره لافتة للنظر بالإضافة إلى الموازنات الصوتية والتصريع...، ومن أشكال ذلك:

أ. **الطباق**: وهو الجمع بين الشيء وضده في الكلام[2]

نحو قوله:

ويُمْسي ويصُبُحِ في نفسِهِ كريمَ المساعي عظَيم الخَطْر[3]

وما النّاسُ إلاّ ميتٌ وابن ميّت تأجّل حيٌّ منهم أو تعجّلا

هو الموتُ يا ابَن الموتِ والبعثُ بعدَه فمن بين مبعوثٍ مخفًّا ومُثقْلا[4]

وتأْتي وتمُضي الحادَثاتُ سريَعةً وكم غَدَرتني الحادثاتُ وكم خانَتْ[5]

اللَّهُ يُنجي من المكْرُوهِ لا حَذَرٍي وكُلُّ خَيْرٍ وشّرٍ خُطَّ بالقَدرِ[6]

عَجباً عِجبْتُ لطالبِ ذَهباً يفنى ويرفُضُ كلَّ ما يبَقى[7]

ألا إنَّما الدُّنيا متاعُ غُرورٍ وَدارُ صُعودٍ مَرَّ وحُدورِ[8]

لجأ الشاعر إلى استخدام هذه الثنائيات (الطباق) إذ جمع بين لفظين متقابلين في المعنى ليصل إلى أهداف حجاجية: وهي إقناع المتلقي بأنّ الحياة ليست ثابتة ،فهو يحتج لتقلب الأيام وتقلب

(1) صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ص 51.
(2) علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 281.
(3) الديوان، ص 160.
(4)المصدر نفسه، ص 304.
(5)المصدر نفسه، ص 68.
(6)المصدر نفسه، ص 168.
(7)المصدر نفسه، ص 11.
(8)المصدر نفسه، ص 170.

صروف الزمان، وقد استمد الشاعر هذه الحجج من واقع الحياة التي تحيط بالناس ومن واقع الأحداث التي تسير بهم.

ويمكن أن نعتبر كل ثنائية من هذه الثنائيات بمثابة حجة وذلك من خلال:

1. يمسي ≠يصبح، 2. تأّجل ≠تعّجلا، 3. مخّفا ≠ مثقلا

4. تأتي ≠تمضي، 5. خير ≠شر، 6. يفنى ≠يبقى، 7. صعود ≠ حدور.

ب.المقابلة: ولا يقتصر الشاعر على توظيف المفردات في حجاجه، بل يتجاوزه إلى توظيف ما هو أوسع قليلا، باستعماله المقابلة وهو "أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يأتي بما يقابل ذلك على الترتيب"(1) نحو قوله:

وكم من ذَليلٍ عزَّ من بعدِ ذلَّةٍ وكم من رفيعٍ كانَ قد صاَر أْسَفلَا(2)

ألا إنَّ اليقيَن عليه نوٌر وإنَّ الشَّكَ ليس عليه نوُر(3)

من النَّاسِ َمْيتٌ وهو َحّي بذكوِ وَحيٌّ سليُم وْهَو في النَّاسِ َميِّتٌ(4)

إذا وصفتْ لُهمُ دنْياُهُم ضَحِكُوا وإنْ وَصَفتْ لُهمُ أُخْراُهْم َعبُسوا(5)

لَعْمرك مَا الدُّنيا بِدارِ بَقاءِ كَفاكَ بدَارِ الموتِ دَار فَناَءِ(6)

الخْير أفْضُل ما لَزِمتاَ والشُّر أْخبثُ ما طَعْمتا(7)

يحبُّ السَّعيدُ العدلَ عند احتجاجه ويبغي الشَّقيُّ البغَي والبغْي يصرع(8)

فالمقابلة ذات قيمة حجاجية، وتظهر قيمتها الحجاجية في تجسيدها لمختلف صور الحياة ووجوهها المليئة بالتضارب والتناقضات، لأن الحياة فيها الخير مقابل الشر وفيها الشك مقابل اليقين،

(1) علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة،ص285.
(2) الديوان، ص 305.
(3)المصدر نفسه، ص 158.
(4)المصدر نفسه، ص 73.
(5)المصدر نفسه، ص 188.
(6)المصدر نفسه، ص 2.
(7)المصدر نفسه، ص 61.
(8)المصدر نفسه، ص212.

وفيها العزيز مقابل الذليل، وفيها الصدق والكذب وفيها الحب والكراهية وغير ذلك من المظاهر المختلفة، ولم يجد الشاعر من سبيل سوى ألوانا من الطباق والمقابلة لنقل ذلك للمتلقي وإقناعه وإثارة عواطفه وتحقيق الشعور بالمعنى لديه عن طريق المفارقة بين المتضادين.

على أننا نظفر بنوع آخر من التقابل في شعر أبي العتاهية، وهذا التقابل مبني على التناقض المنطقي وعدم الاتفاق إذ "يدفع الحجاج أطروحة ما مبينا أنها لا تتفق مع الأخرى"[1]،وهذا إيضاحا للحكم المراد، وتأكيدا لموقفه ،وتأثيرا على السامع فيقول:

يا ربِّ إنَّ النَّاسَ لا يُنصفونني وكيف وإنْ أنصفتُهم ظَلَمُوني؟

وإنْ كَانَ لي شيءٌ تَصَدّوا لأَخذِهِ وإنْ جئتُ أبغي شَيئهم منعوني

وإنْ نالَهم بَذْلي فلا شُكْرَ عندَهُمْ وإنْ أنَا لم أبذُلْ لَهُمُ شَتَمُوني

وإنْ طُلعتْ عندي رخاءٌ تقرَّبُوا وإنْ نزلت بي شدةٌ خَذَلُوني

وإنْ طَرَقَتني نَكْبةٌ فَكِهُوا بِهَا وإنْ صَحِبَتني نعمةٌ حَسَدُوني

سَأَمنَعُ قلبي أن يَحِنَّ إليهِمُ وأَحْجُبُ عَنْهُمْ نَاظِري وجُفُوني[2]

فالشاعر هنا يحتج لظلم الناس له لأنانيتهم ونفاقهم والجري وراء مصالحهم فيعتمد حجة عدم الاتفاق من خلال المقابلة بينه وبين قومه هذه المقابلة هي إيجابية الشاعر وسلبية الناس، فقد أكد الشاعر أنه لقي في شيم الناس ضلالا وفسادا، فمن كان عادلا وتجنب ظلم الآخرين استهانوا به ورأوا في عدله ضعفا فاستخفوا به وجاروا عليه، ولذا تكونت في نفسه هذه الصورة القاتمة عنهم، وقد أبرز التركيب الشرطي هذا التناقض والاختلاف على أحسن وجه، ولذلك يرى من الخير اعتزال هؤلاء الناس والبعد عنهم وهي النتيجة التي توصل إليها.

ج. الموازنة:

وهي أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن، وأن يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساويي الألفاظ وزنا.

(1) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 192.

(2) الديوان، ص 365.

وللكلام بذلك طلاوة ورونق، ويسببه الاعتدال لأنه مطلوب في جميع الأشياء وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان وهذا لا مراء فيه لوضوحه[1].

وقد ضبط الشاعر استخدامه فحقق به التنويع الإيقاعي والدلالي، إذ يسهم في إثراء الدلالات وتعميق الأفكار حين يقول:

مَنْ سَالَمَ النَّاسَ سَلِمْ   مَنْ شَاتَمَ النَّاسَ شُتِمْ
مَنْ ظَلَمَ النَّاسَ أَسَا   مَنْ رَحِمَ النَّاسَ رُحِمْ
مَنْ حَفِظَ العَهْدَ وَفَى   مَنْ أَحْسَنَ السَّمْعَ فَهِمْ
مَنْ صَدَقَ اللهَ عَلَا   مَنْ طَلَبَ العِلْمَ عَلِمْ
مَنْ خَالَفَ الرُّشْدَ غَوَى   مَنْ تَبِعَ الغَيَّ نَدِمْ
مَنْ لَزِمَ الصَّمْتَ نَجَا   مَنْ قَالَ بِالخَيْرِ غَنِمْ
مَنْ عَفَّ وَاكْتَفَّ زَكَا   مَنْ جَحَدَ الحَقَّ أَثِمْ[2]
مَنْ مَسَّهُ الضُّرُّ شَكَا   مَنْ عَضَّهُ الدَّهْرُ أَلِمْ[3]

فكلام الشاعر هنا ينحو منحى تعليميا توجيهيا للمتلقي، حيث يتزاوج التعليم مع المواعظ التي استمدها الشاعر من القيم الثابتة في الحياة والدين والأخلاق فلجأ إلى الموازنة لأن" توقيع الكلام وتوازنه يكاد يكون حجة على صدقه". [4]

د. التصريع:

إضافة إلى الموازنة لجأ الشاعر إلى التصريع في مطلع كل قصيدة على عادة الشعراء مما شكل إيقاعا صوتيا من شأنه أن يوقع تأثيرا في نفس السامع، إذ للجانب الصوتي قدرة على فعل التأثير ومن ذلك مثلا قوله:

---

(1) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، ص 291.
(2) الديوان، ص 349.
(3)المصدر نفسه، ص 350.
(4) مُحَمّد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي،ص116

لِدوا لِلْموتِ وابنوا للخَرابِ فكُلُّكُم يصيرإِلى ذَهابِ[1]

ألاكُلُّ ما هُو آتٍ قَرِيبُ وللأَرضِ من كُلِّ حَيٍّ نصيبُ[2]

أنَلْهو وأيّامنا تذْهبُ ونَلْعبُ والموتُ لا يَلْعبُ[3]

المْرء يُطَلُب والمنيَّةُ تَطْلُبُهُ ويدُ الزَّمانِ تَدُورُ تُقَلِّبُهُ[4]

الخير وُالشُّر عاداتٌ وأهواءٌ وقد يكونُ من الأحبابِ أعداءٌ[5]

من هنا يمكن اعتبار الموسيقي رافدا من روافد الحجاج من جهة استيلاء ما وقع على النفوس وامتلاك الأنغام للأسماع وما كان أملك للسمع كان أفعل باللّبّ وبالنفس[6].

ويتضح ذلك من خلال(خراب وذهاب ،قريب ونجيب ،تذهب ويلعب،تطلبه وتقلبه ،أهواء وأعداء)

3. الاستعارة:

تعد الاستعارة آلية حجاجية بامتياز فهي من الوسائل التي يمارس المتكلم من خلالها نوعا من الضغط على المتلقي من أجل الإقناع والتأثير وذلك إلا لثقته بأنها أبلغ الحقيقة.

وتعرف الاستعارة الحجاجية بكونها "تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي"[7].

وتكمن حجاجيتها في تدخل آليتي الادعاء والاعتراض، فالوظيفة الحجاجية للذّات المظهرة هو ادّعاء وجود المعنى الحقيقي للخطاب أي المطابقة بين المستعار منه والمستعار له[8]، إذ يقول

(1) الديوان، ص33.
(2)المصدر نفسه، ص37.
(3)المصدر نفسه، ص 38.
(4) المصدر نفسه،ص47.
(5) المصدر نفسه ،ص1.
(6) سامية الدريدي،الحجاج في الشعر العربي القديم ،ص127.
(7) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 495.
(8)المرجع نفسه، ص 496.

الجرجاني: "لأنك تفيد بقولك: رأيت أسدًا، أنك رأيت شجاعا شبيها بالأسد، وأن شبهه به في الشجاعة على أتم ما يكون وأبلغه، حتى إنه لا ينقص عن الأسد فيها"[1].

وينطلق طه عبد الرحمن في بناء نظرته التعارضيةللاستعارة من الافتراضات الآتية:

أ. أن القول الاستعاري قول حواري، وحواريته صفة ذاتية له.

ب.أن القول الاستعاري قول حجاجي، وحجاجيته من الصنف التفاعلي نخصمه باسم "التجاح".

ت.أن القول الاستعاري قول عملي، وصفته العملية تلازم ظاهره البياني والتخييلي[2].

وقد قسم عبد القاهر الجرجاني الاستعارة إلى مفيدة وغير مفيدة إذ يقول متحدثا عن الاستعارة المفيدة "وهي أمدّ ميدانا، وأشد إفتنانا، وأكثر جريانا، وأعجب حسنا وإحسانا، وأوسع سعة، وأبعد غورا، وأذهب نجدا في الصناعة وغورا من أن تجمع شعبها وشعوبهاو تحصر فنونها وضروبها"[3].

وهي عند أبي بكر العزاوي تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم بقصد توجيه خطابه، و تحقيق أهدافه الحجاجية، والاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وسياقاتهم التخاطبية والتواصلية، حيث نجدها في اللغة اليومية وفي الكتابات الأدبية والسياسية والصحفية والعلمية، أما الاستعارة غير الحجاجية أو البديعية، فإنها تكون مقصودة لذاتها ولا ترتبط بالمتكلمين وبمقاصدهم وأهدافهم الحجاجية[4].

من هنا نستنتج أن الباحثين ميزوا بين نوعين من الاستعارة، الاستعارة الحجاجية والاستعارة البيديعية، لكن مع ظهور البلاغة الجديدة تجاوزت النظرة إلى الاستعارة من مجرد وسيلة تزيينية بسيطة

(1) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 208.
(2) طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،ص310.
(3) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 32.
(4) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 108، 109.

إلى النظر إليها كوسيلة مميزة للتواصل، يقول ميشال لوقرن وهكذا "نجد في مقابل الغاية الجمالية للاستعارة الشعرية مطمحا إقناعيا للاستعارة الحجاجية"[1].

وإذا تأملنا زهديات أبي العتاهية فإننا نجدها تتضمن مجموعة مهمة من الاستعارات الحجاجية منها قوله:

1. ألمَ تر أنَّ الموتَ يهتزُّ سيفُهُ   وأنَّ رماحَ الموتِ نحوكَ تُشْرعُ[2]

2. حتَّى متى أنْتَ في لهْوٍ وفي لَعِبٍ   والموتُ نَحْوَكَ يَهْوِي فَاغِرًا فَاهُ[3]

3. إيَّاكَ إيَّاكَ والدُّنيا ولذَّتَها   فالموتُ فيها لخلق الله مُفْتَرِسُ[4]

فحجج الشاعر هنا جاءت على شكل استعارات صور فيها الموت في أبشع صورة ورسمه شيئا مفزعا مخيفا حتى يربط أذهان الناس بالموت ويعلق أخيلتهم بصورته.

إنّ الموت سلطة قوية ومتجبرة شخصها الشاعر وأعطاها صفات غالبة،وقادرة على قهرهم والوصول إليهم،وإلى غيرهم بطرق شتى وبأساليب متعددة وهم لايملكون أمامه حولا ولا قوة،وبذلك لا يستطيعون قهره بل نجده هو القاهر لهم دوما.

ح1: الموت يهتز سيفه.

ح2.الموت يهوي فاغرا فاه.

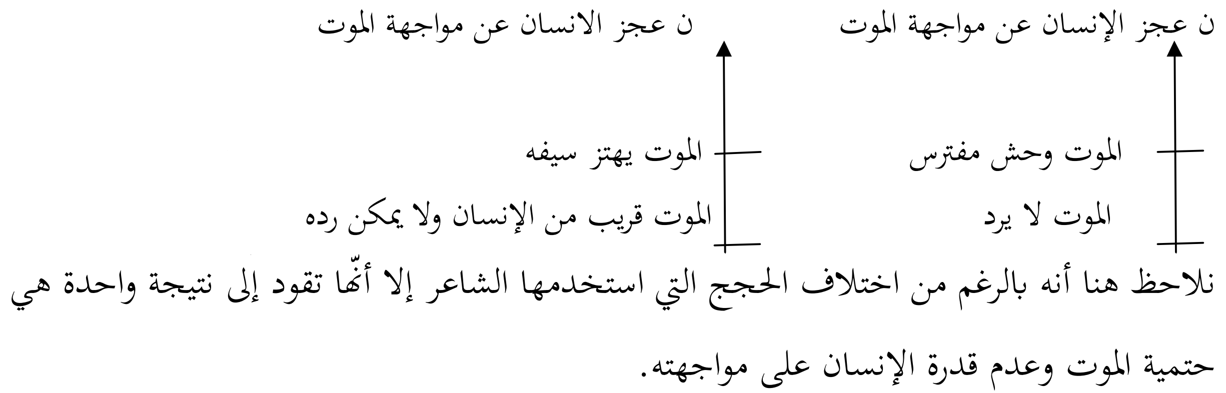
ح3: الموت مفترس لخلق الله.

هذه الحجج استخدمها الشاعر من أجل إقناع المتلقي بأن نهاية الإنسان هي الموت وهذا نضرا لضعفه وعجزه عن مواجهته،لأن مصير المرء وزواله هو من سنن الكون والإنسان في مصيره شبيه بمصير الرمية في يد الرامي التي لا بد له من قذفها في يوم من الأيام، وقد استعار الشاعر لذلك صفات تنفي عن الكلمات معانيها الحرفية وتكسبها معاني جديدة (الموت فارس أو مقاتل يهتز سيفه ليقضي على خصمه، الموت وحش مفترس يتخطى كل العراقيل ليقضي على فريسته "خلق

(1) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 121.
(2) الديوان، ص 211.
(3) المصدر نفسه،419.
(4)المصدر نفسه، ص 188.

الله")، فتم التعبير عن المعنوي بشيء حسي مادي وهذا يشكل أقوى حجة وأقوى دليل لخدمة النتيجة المقصودة.

ولقد ربط الدارسون بين الاستعارة والسلم الحجاجي ورأو أن الأقوال الاستعارية أقوى حجاجيا من الأقوال العادية(1)، لذا فهي تقع في أعلى درجات السلم الحجاجي، ويمكن أن نمثل لذلك في السلم الحجاجي على النحو الآتي:



نلاحظ هنا أنه بالرغم من اختلاف الحجج التي استخدمها الشاعر إلا أنّها تقود إلى نتيجة واحدة هي حتمية الموت وعدم قدرة الإنسان على مواجهته.

وقوله أيضا:

4 .وَمزَّقَ ريبُ الدَّهْرِ كُلَّ جَمَاعَةٍ   وكدَّر ريبُ الدَّهْرِ كُلُّ صَفَاءِ(2)

5.المرءِ يُطَّلَبُ والمنيَّةُ تَطْلُبُهُ   ويدَ الزَّمانِ تُديرُ قَلبِهُ(3)

فالشاعر هنا يحتج لضعف الإنسان أمام حوادث الدهر ونوائبه متخذا منه موقفا سلبيا لأنّه يرى أنّ الدهر يعطي مرة ويحرم مرات ، كما أنه يفرق بين الناس وله وجهان وجه إيجابي و الآخر سلبي ولكنه هنا يغلب عليه الجانب السلبي وذلك حينما يتصرف مع الإنسان ويكدر حياته،وقد استعار لذلك صفات تنفي عن الكلمات معانيها الحرفية وتحيل إلى دلالات مادية في الواقع.

ففي قوله "مزّق ريب الدّهر كل جماعة" استعارة لأن الذي يريد الشاعر إبلاغه وتوصيله إلى المتلقي هو أن الدهر يفرق بين الناس فتم التعبير عن التفرق والتشتت المعنوي بالتمزيق المادي "لأن

---

(1) انظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 101، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 494.
(2) الديوان، ص 3.
(3)المصدر نفسه، ص 47.

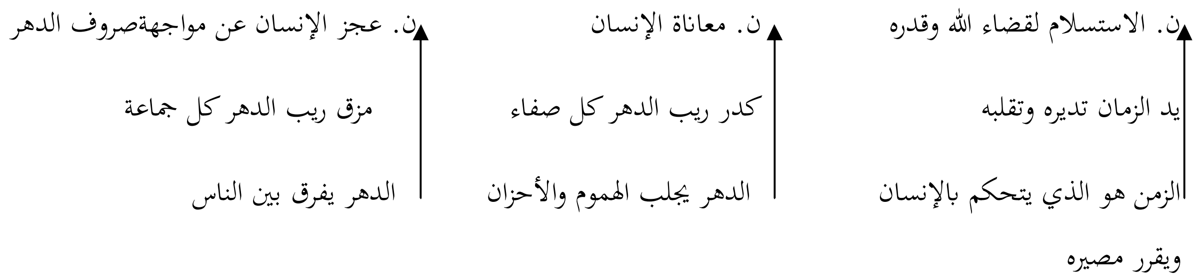
التمزيق عادة يكون للثوب" لما فيه من دلالة توحي بالتشتت والتفريق والحركة الشديدة العنيفة وفي ذلك تحريك لمخيلة السامع.

وفي قوله "كدر ريب الدهر كل صفاء" كذلك استعارة تحيل إلى دلالة في الواقع حيث شبه الدهر بالسحب التي تحجب الشمس والسماء وبالتالي تكدر الصفاء وتجلب العتمة،وفي تشخيصه للدهر صورة سوداوية الملامح قاتمة الألوان إذ عمد إلى إضفاء القساوة على تشخيصاته، وفي هذا دلالة توحي بتقريب الصورة إلى ذهن المتلقي، ولو عبر عن ذلك بطريقة مباشرة "الدهر يجلب الهموم والأحزان" لما كان هذا التأثير.

وكذلك في قوله: "يد الزمان تديره وتقلبه" إحالة مادية حيث شبه الزمان بالإنسان الذي باستطاعته أن يدير الأشياء ويقلبها فحذف المشبه به "الإنسان" وجاء بأحد لوازمه "اليد" على سبيل الاستعارة المكنية و هذه الصورة أقرب إلى عقل المتلقي فهما وأوقع أثرا وأبلغ إقناعا.

إنّ الشاعر يرى أن الإنسان دائب السعي في طلب الرزق والتمسك به،والموت يطلبه دائما وهو لا يسهو عن أحد وإن سها عنه الكثيرون من الناس وهذه هي سمة الدّهر وحقيقتها.

ويمكن أن نمثل لهذه الاستعارات على النحو الآتي:



6يا راكِبَ الغّيِ غَيرُ متئدِ   شَتّانَ بين الضّلال والرّشدِ(1)

7.رأيتُكَ فيَما يخطئ النّاسُ تنظُرُ   ورأسكَ من مَاءِ الخطيئةَ قْطُرُ(2)

---

(1)المصدر السابق، ص 104.

(2)المصدر نفسه، ص 168.

ففي قوله "يا راكب الغّي" استعارة يحتج الشاعر من خلالها لضلال الإنسان حيث شبه الغي بالشيء المحسوس الذي يركب كالفرس وغيرها فحذف المشبه به وجاء بأحد لوازمه "الركوب" للدلالة على المشي والاستمرار في طريق الضلال على سبيل الاستعارة المكنية.

أما قوله: "رأسك من ماء الخطيئة يقطر" يحتج لكثرة خطايا الإنسان حيث شبه الخطيئة بالمطر بما فيه من دلالة توحي بكثرة هذه الأخطاء.

ن. جهل الإنسان وضلاله	ن. جهل الإنسان وعدم رشده
رأسك من ماء الخطيئة يقطر	راكب الغي
كثرة أخطاء الإنسان	ضلال الإنسان

8. يا بائِعَ الدّينِ بالدُّنيا وباطِلِها ترضَى بدينِكَ شَيْئًا ليسَ يَسْواه[1]

فقد استعار الشاعر البيع للدّين و الدّنيا لأنّ الدّين والدّنيا أمور معنوية لايمكن بيعها،وقدم لنا ذلك في شكل معادلة تجارية تقوم على مبدأ الربح والخسارة وإن كانت متع الحياة وباطلها هي المساوم عليها،وفنية الصورة تكمن في اللباس الجديد الذي ألبسه الشاعر للمعنى،فقد كان باستطاعته القول إننا نتخلى عن ديننا باتباع دنيانا ولكنه عدل عن ذلك حتى يكون كلامه أكثر إثارة ،ليخرج الشاعر بنتيجة منطقية هي أنّ الدّين لا يساوي الدّنيا لأنّ الشيء الدائم الباقي لايمكن مقايضته بالشيء الزائل وبالتالي خسارة الإنسان.

9. ومَنْ كَانَتْ الدُّنْيا هَواه وهَمَّهُ سَبتْه المُنَى واسْتَعْبَدَتْهُ المطَامِعُ[2]

استعار الشاعر السبي و الاستعباد للمنى و المطامع، والسبي و الاستعباد ليسا من طبيعة المنى و المطامع، فكل من (السبي) و(الاستعباد) يحمل الدلالة المادية للفعل ويجسده ،ومن ثم شخص المنى بالعدو الذي يسبي الأسرى في حالة الانتصار في الحرب ، والمطامع بالشخص الجبّار ذا السّلطة

(1) المصدر السابق،ص419

(2) المصدر نفسه،ص217.

.

القوية الذي يستعبد الناس ،والهدف من وراء ذلك أن يبين للإنسان المغرور العنيد الذي يجعل من الدنيا همه الوحيد أنه سيصبح ضحية لأمانيه و مطامعه والنتيجة التي يحصل عليها جراء ذلك هي الذل و الهوان

ولذلك يرى أنّ اتباع الشهوات والأهواء آفة كبيرة يجب على الإنسان تجنبها حتى تحفظ كرامته لأنّ النّفس إذا تخلت عن المطامع هانت الأمور أمامها والطمع إذا حلّ بالقلب أصبح هذا القلب مريضا بداء الذل و المهانة.

ويمكن أن نمثل هاتين الاستعارتين في السلم الحجاجي كالآتي:

- ن الدين لا يساوي الدنيا	- ن الذل و الهوان
- بيع الدين بالدنيا	-سبته المنى واستعبدته المطامع
-التخلي على الدين باتباع الدنيا	-اتباع الأماني و المطامع

10. تَرَقَّ مَن الدُّنْيا إلى أيّ غاية سَمَتْ إليها فالمنايا وراؤها[1]

شبه الدنيا بالسلم الذي يصعد عليه الإنسان ليبلغ به الحاجة فحذف المشبه به وجاء بأحد لوازمه الصعود (ترقّ) على سبيل الاستعارة المكنية ، وهدف الشاعر من هذه الصورة الفنية هو أن يقنع المتلقي بأن ما يبذله الإنسان من جهد في هذه الدنيا من أجل العز والمال و المنصب لن ينفعه لأنّه سيرحل عن هذه الدنيا فلا يجني منها إلا التعب، و في النهاية لا يجد غير المنايا والتي شخصها وجعلها شيء حسي يقف وراءه.

11. إنمّا الشَّيْبُ لابن آدم ناعٍ قَامَ في عَارِضَيْهِ ثمَّ نَعَاه[2].

لما كان الشيب علامة من علامات الكبر و نذيرا للموت ودليلا على قرب أجل الإنسان استعار الشاعر النعي من الإنسان إلى الشيب حيث شبه الشيب بالناعي الذي ينذر بزوال عمر الإنسان حتى يجعل من تقدم بهم السن و الذين يخشون الموت يتوبون إلى طريق الرشاد.

(1) المصدر السابق، ص04.

(2) المصدر نفسه ص415 .

-ن موت الإنسان	-ن موت الإنسان
-الشيب لابن آدم ناع	-ترق من الدنيا
-الشيب دليل على قرب أجل الإنسان	-سعي الإنسان في الدنيا

نستنتج أن هذه الأقوال الاستعارية قامت على تجسيد المعنوي في صورة حسية إذ قامت بتقريب اللامحسوس من المحسوس، وتجسيم المعنوي يزيد الاستعارة بلاغة وحجة وهذا ما يسهل عملية الإدراك والفهم "فالاستعارات تتجلى إما كضرورة وإما عن طريق المدلول لكي تضيف الكلمات التي تفتقر لها اللغة التي تعجز عن التعبير عن بعض الآراء أو كاختيار للتعبير بالصور بغرض تمثيل الأفكار بصورة حيةّ ومؤثّرة أكثر من علاماتها الخاصة"(1).

ولقد استعمل الشاعر الاستعارة كوسيلة لتأكيد أفكاره وتدعيمها عوضا أن تكون مقصودة في حد ذاتها.

3. التشبيه (التمثيل):

يرى بعض الباحثين أن التشبيه أعم من التمثيل فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيل(2)، لكن البعض نظروا إليهما على أنهما لفظان مترادفان من ذلك ابن الاثير في قوله: "يقال شبهّت هذا الشيء بهذا الشيء كما يقال مثلته به"(3).

وإلى جانب الاستعارة يسهم التشبيه أيضا في عملية الإقناع وإن كان أقل أثرا من الاستعارة.

يقول ابن الأثير متحدثا عن الفائدة من التشبيه: "وأما فائدة التشبيه من الكلام فهي أنك إذا مثلّت الشيء بالشيء فإنمّا تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبهّ به، أو بمعناه. وذلك أوكد

(1) بريجيت نيرليخ، الاستعارة والكناية الأصول البلاغية الحديثة، ترجمة، حسين خالفي، مجلة الخطاب، دار الطباعة للنشر والتوزيع، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، العدد 3، ماي 2008، ص 400.
(2) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 75.
(3) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص 115.

في طرفي الترغيب فيه ،أو التنفير عنه. ألا ترى أنّك إذا شبهّت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو إلى التّرغيب فيها. وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتا في النفّس خيالا قبيحا يدعو إلى التنفير عنها، وهذا لا نزاع فيه"[1].

ولايخالف القزويني ابن الأثير في ذلك حيث يقول "فاعلم أنّه مما اتفق العقلاءعلى شرف قدره ،وفخامة أمره في فّن البلاغة –وأنّ تعقيب المعاني به-في تحريك النّفوس إلى المقصود بها مدحا كانت أوذماّ أو افتخارا أوغير ذلك "[2].

فالتشبيه يقنع السامع عن طريق الترغيب في الشيء من خلال حسنه أو التنفير منه من خلال قبحه.

ولقد استخدم "أبوالعتاهية" عددا من التشبيهات منها قوله:

1 .وكُنَّا كالغصُونِ إذا تثَنَّتْ من الرَّيحان مونَقةً طِاَبا[3]

شبه الشاعر مرحلة الشباب بالغصون الخضراء الناضجة ثمارها، فالشباب يمثل مرحلة القّوة و العطاء، مرحلة الحيوية والنشاط ، ففي هذه المرحلة يحقق الإنسان ذاته وأهدافه كما يورث صاحبه القناعة الكافية بأنه قد نضجت أموره.

2 . عَريتُ من الشَّبابِ وكانَ غَضًّا كما يعْرُى من الَو قِر القَضِيبُ[4]

3 . يبْلُى الشَّبابُ ويفُني الشُّيبُ نَضْرتُه كما تَساقَطَ عن عِيدَانِهاَ الَو قُر[5]

شبه ذهاب نضرة الشباب ونشاطه وحيويته بسقوط الأوراق اليانعة الخضراء من الغصن الغض الطري.

فالشاعر هنا يحتج لكيفية تحول حياة الإنسان من مرحلة الشباب إلى مرحلة الشيب وكأنه يعقد مقارنة بين تلك الغصون الخضراء التي فقدت أوراقها في موسم الخريف وبين الشباب الذي

(1) المرجع السابق،ص123.
(2) القزويني ،الإيضاح في علو م البلاغة،ص164.
(3) الديوان، ص 20.
(4) المصدر نفسه، ص 32.
(5)المصدر نفسه، ص 249.

مضى ولن يعود وحل محله الشيب ،وهذه المرحلة هي انعطاف حياة الإنسان نحو الضعف لينتهي به الأمر إلى العجز ثم إلى الموت.

إنّ المتكلم هنا أراد أن يقنع المتلقي بأن مرحلة الشباب هي مرحلة الحيوية والنشاط ولهذا يجب على الإنسان أن يستغلها لأنها لن تعود مرة أخرى،فالفترة التي يمضيها الإنسان في حياته نشيطا هي فترة قصيرة من عمره إذا ما قيست بباقي الفترات.

4 . وللزّمانِ تَثَنٍّ كَما تَثَنَّى الغُصُونُ(1)

وهي من صور الشاعر الغنية،فقد شبه عبثية الزمان وتقلباته بالأغصان،فكما أنها تعبث بها الرياح فتحركها تارة يمينا وتارة شمالا،كذلك الزمان تعبث فيه الأقدار بالناس تارة فرحا وتارة حزنا، فما أن تراها ضاحكة لأحدهم حتى تنقلب عليه فتهجره لتبتسم لشخص آخر.

5 . إنَّ الَفي ظُلْمةِ من الحُبِّ للدُّنيا لَوأَهْلُ التُّقى كَواكُبَها(2)

حيث أكد الشاعر أن حبّ الدنيا بدعة وضلال وجهل يجعل صاحبها في حكم من يمشي في الظلمة، لذلك شبه أهل التقى بالكواكب في الرفعة والضياء والتي تنير هذه الظلمة من غير أن يذكر أداة التشبيه وذلك لادعائه أن المشبه هو عينه المشبه به بهدف إقناع المتلقي بأهمية التقوى وترك التعلق بالدنيا.

6 .لله دُنيا أُناسٍ دائبينَ لها قَدْ ارتَعُوا في رياضِ الغيّ والفِتَنِ
كَسائماتٍ رواعٍ تبتغي سِمَناً وحَتْفُها لو دَرَتْ في ذلكَ السِّمَنِ(3)

شبه الناس الذين مشو في طريق الغّي والفتن بالسائمات (إبل أو ماشية) التي ترسل للرعي حيث شاءت فينتفخ بطنها وتمرض ثم تموت من حيث لا تعلم ،فالشاعر أراد أن يقنع المتلقي بأن الفتن تضر بصاحبها ولا تعود عليه بالنفع حتى وإن زينت له في نفسه فإنها تهلكه من حيث لا يدري.

(1) المصدر السابق، ص368.
(2) المصدر نفسه، ص 50.
(3) المصدر نفسه، ص 398.

7. إنمّا الدُّنيا كظِلٍّ زائل أحمَدُ اللهَ كذا قدَّرَها[1]

إنّ الشاعر هنا يحتج لسرعة زوال الدنيا حيث شببها بالظّل الذي يزول مباشرة بعد غروب الشمس، ويكرر هذا المعنى تقريبا عند تشبيهها بمنازل الركبان الذين يرحلون ويبقى المكان في قوله:

فكّرتُ في الدُّنيا فكَانَتْ مَنزِلًا عِنْدي كَبَعْضِ منازلَ الرُّكبَانِ[2]

8. ولِبَعْضِ على تغيّرِ الزّمانِ فإنمّا فَرَجُ الشدائدِ مِثْلُ حَلِّ عِقَالِ[3]

شبه الشاعر فرج الشدائد بحل العقال (أي الرباط) لأنه أراد أن يقنع المتلقي بالتحلي بالصبر على الشدائد فبعد الشدة يأتي الفرج هذا الفرج يأتي بسهولة وسرعة ويسر تماما كحل العقال.

9. تَرْجُوا النَّجاةَ ولم تَسْلُكْ مَسالِكَها إنَّ السَّفينةَ لا تجري على اليَبْسِ[4]

يعقد الشاعر هنا مماثلة بين صورتين (تشبيه تمثيلي) طريق النجاة وطريق السفينة، فمن أراد النجاة أن يسلك طريقها ولا يسلك طريقا آخر تماما كالسفينة التي لديها طريقا واحدا تسير فيه وهو البحر وليس اليابسة ،فهنا المتكلم يريد أن يصل إلى نتيجة مفادها أن من سار على الدرب وصل.

10. صَفةُ الزّمانِ حكَيمةٌ وبليغةٌ إنَّ الزّمانَ لشَاعِرٌ وخطيبُ[5]

حيث شبه تقلب الزمن وما تفعله الأقدار بالناس بالشاعر والخطيب فأعطى له صفة الحكمة والبلاغة وقد حذف الشاعر أداة التشبيه ليزيل الفوارق المادية بين المشبه والمشبه به وليدعي أنّ المشبه هو المشبه به عينه.

11. وَلِثقلُ الحقِّ أحيانًا كَمِثْلِ الجَبَلِ الرّاسي[6]

لما كانت الجبال توصف بالقّوة والصلابة والثقل شبه الشاعر ثقل الحق بها نظرا لأهميته،لأن الحقيقة في بعض الأحيان قاسية يصعب قولها.

(1)المصدر السابق، ص 184.
(2)المصدر نفسه، ص 369.
(3)المصدر نفسه، ص 284.
(4)المصدر نفسه، ص 194.
(5)المصدر نفسه، ص 27.
(6) المصدر نفسه، ص192.

12. هي الدُّنيا كَحَيَّةٍ تَنْفُثُ السُّمَّ وإنْ كانَتِ المَجَسَّةُ لانَتْ[1]

أراد الشاعر هنا أن يذم الدنيا وشرورها،فلم يجد صورة أكثر تعبيرا من تشبيهها بالحية (لأن الحية توصف بالشّر والنهم) التي تنفث السّم فتصيب به من تجده أمامها حتى وإن أمن لها الإنسان ولان لمسها.

نلاحظ في هذه التشبيهات أنها تشبيهات واضحة وبسيطة كما أن المشبه به استمد من الأشياء المادية المحسوسة،ولاشك أنّ حسية الصورة تقرب المعنى إلى حدكبير في نفوس القارئين والسامعين،وفي ذلك تسهيل للمخاطب لأن يدرك الحقيقة ويستوعب المعنى كاملا وفي أحسن صورة فلا يجد عناء كبيرا في فهمها وتأويلها.

4. الكناية:

للكناية أيضا دور في عملية الإقناع شأنها شأن الاستعارة والتشبيه، فهي بمثابة الدليل الذي يلجأ إليه المتكلم لإثبات معانيه يقول "الجرجاني": "والمراد بالكناية ههنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومىء به إليه ويجعله دليلا عليه"[2].

كما أنّها وسيلة بيانية أبلغ من الإفصاح والتصريح "أما الكناية فإنّ السبب في أن كان للإثبات بها مزية، لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم –إذا رجع إلى نفسه- أن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجا غفلا"[3].

نستنتج أن الكناية عند الجرجاني وسيلة لتأكيد وإثبات المعنى وفي هذا التأكيد والإثبات تتجسد قوة الإقناع.

(1) المصدر السابق،ص75
(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 52.
(3) المرجع نفسه، ص 57، 58.

وفي المقابل نجد أبو العتاهية استعمل الكناية بالمعنى نفسه الذي تحدث عنه الجرجاني وذلك في قوله:

1. أَيا هادِمَ اللَّذاتِ ما منكَ مَهْرَبٌ تُحاذِرُ نَفسي مِنْكَ ما سَيُصيبُها[1]

يحتوي هذا البيت على كناية في قوله "أيا هادم اللذات" حيث عبر عن الموت بهادم اللذات وهذا دليل على أن الموت ينهي حياة الإنسان ومن ثمة تنتهي لذّته ،واستخدم الشاعر الكناية ليقرب معنى كلمة الموت إلى أذهان الناس الذين يخاطبهم ويصف لهم مدى مرارتها وعذابها إذ أنه لا حلاوة بعدها

2. ومُمَهَّدِ الفُرشِ الوثيرِ لا تُغْفِلْ فِراشَ الرَّقْدَةِ الكُبْرى[2].

فقوله "رقْدة الكبرى" كناية عن القبر وقد أورد الشاعر هذه الكناية ليقنع المتلقي بعدم نسيان القبر لأنه الفراش الأبدي الذي سيدوم للإنسان. وفي هذا التعبير تلميحا إلى حث الإنسان على الأعمال الصالحة التي يأخذها معه إلى القبر.

3. وإذا ذَكَرتُكَ يا أُخَيَّ تَقَطَّعَت كَبِدي فأُقْلِقَتِ الجوانِحُ والحَشا[3]

الكناية في قوله "تقطّعت كبدي" وهي كناية عن الحزن الشديد الذي يصيب الشاعر عندما يتذكر أصحاب القبور فقوله "تقطّعت كبدي" صورة مؤثرة فلو عبر عن المعنى صراحة "عندما أتذكرك أحزن" لما كان هذا التأثير.

وفنية الكناية وجمالها في البيت تكمن في اللباس الجديد الذي ألبسه الشاعر للمعنى،حيث أخذ معنى(الحزن) وصاغه صياغة فنية في ثوب جديد (تقطعت كبدي) وبهذه الصورة الجديدة أثار مشاعرنا وأحاسيسنا.

(1) الديوان، ص 48.
(2) المصدر نفسه، ص 10.
(3) المصدر نفسه، ص 16.

4. عجبتُ للنَّارِ نام راهِبَها وَجنَّة الخلْد نام راغبَها

عجبتُ للجَنَّةِ الَّتي شوَّقَ الله إليها إذ نَام طالِبَها[1]

فقوله "نام راهبها، نام راغبها، نام طالبها" ألفاظ كنائية تحيل إلى غفلة الإنسان ولامبالاته، وهي كناية عن صفة،وغرض الشاعر من ذلك تنبيه المتلقي إلى عدم الغفلة لأنها تحجب عن الإنسان الحقيقة.

فهو يرى أن عمر الإنسان محدود لا بد أن يستكمل عدّته ثم ينتهي بزوال الإنسان ولهذا يجب على الإنسان أن يستغله حتى يكسب رضى الله ولا يتعرض لعقابه.

5. رَمَاهُ الزَّمانُ بَسَهْمِ الرَّدى فأصبح في الثُلَّة الهامِدَه[2]

قوله "سهم الّردى" إشارة إلى الموت، و"الثلّة الهامدة" كناية عن الموتى لأن الإنسان عندما يصيبه الموت يصبح في عداد الأموات "الثلّة الهامدة".

6.وابُن التَّمائمِ من حَوادِثِ ريبِ الدَّهرِ لاتُغنِي عَنْه تمَائُمه[3].

فالملفوظ "ابن التمائم" كناية عن الإنسان الذي يكثر من تعليق التمائم (التعويذات) تجنبا للحسد والشر،لكن هذه التمائم في نظر الشاعر تقف عاجزة أمام قساوة الدهروجبروته ،فالدهر عدو خائن يمثل قّوة معيقة لسير الأحداث حتى وإن يحتاط منه الإنسانفإنّه يغدر به ولا تنفعه تمائمه.

7.نَظرْتُ إلى الدُّنْيا بِعَيْنٍ مَرِيضَةٍ وفِكْرةِ مَغْرورٍ و تَدْبيرِ جَاهِلِ[4]

نظر الشاعر إلى الّدنيا بعين مريضة،وهي كناية عن النظرة الخاطئة والناقصة للّدنيا ،لأن العين المريضة لاتنظر للأشياء بصورة جيدة بل تنظر إليها بصعوبة لما أصابها من وهن المرض.

فالشاعر هنا يحتج لغروره وغفلته وجهله ،وهذا شعور بالندم على مافرط في جانب الله بما اقترف من أخطاء مجونية وعقيدية اعترف بها بعد توبته.

(1) المصدر السابق، ص 50.
(2) المصدر نفسه، ص 132.
(3) المصدر نفسه،ص359.
(4) المصدرنفسه، ص314

لجأ المتكلم إلى الكناية سعيا منه إلى إثارة إدراك المتلقي وتقبل أفكاره وآرائه واستدراجه للظفر بالدلالة وترسيخ المعنى في ذهنه حتى يصل إلى مقاصده الحجاجية.

إنّ الصورة الفنية لدى الشاعر تتسم بالبساطة والسهولة إلا أنها في الوقت نفسه على درجة كبيرة من العمق، وحتى وإن لم تكن صورة معمقة فهي مع ذلك غنية بعناصر التخيل والإبداع.

5. الأدلة الجاهزة:

تعد الحجج الجاهزة أو الشواهد دعامة فعّالة من دعامات الحجاج القوية.

ويدخل في نطاقها عند أرسطو القوانين والشهود والاعترافات وأقوال الحكماء، ومنها في الخطابة العربية تضمين الآيات القرآنية والأحاديث وأبيات الشعر والأمثال الحكم[1].

ويصنفها طه عبد الرحمن على أنّها محاورة بعيدة أو (تناص) والتناص هو تعلق النصوص بعضها ببعض على طريقتين:

طريقة ظاهرة يعرض فيها المحاورشواهد من أقوال الغير مثل النّقل والتضمين والاقتباس.

وطريقة باطنة ينشئ بها المحاور نصه عبر نصوص سابقة مماثلة أو متباينة ويفتح بها آفاق نصوص أخرى مكملة أو مبدعة فيصطبغ عندها النص بصبغة المغايرة[2].

وتسهم هذه الآلية في رفع ذات المرسل إلى درجة أعلى وبالتالي منحها قّوة سلطوية بالخطاب، عند التلفظ بخطاب ذي بعد سلطوي في أصله، عندما يتبوأ المرسل بخطابه مكانا علياّ، ويستمد ذلك من سلطة الخطاب المنقول على لسانه فقط وبالتالي تصبح السلطة هي سلطة الخطاب الذي يتوارى المرسل وراءه[3].

---

(1) محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 90.

(2) طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 47.

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب،ص537

إذ من شأن الاستناد إلى المتواتر المشهور والمتداول المعروف أن يساهم في عملية الإقناع وأن يدعم عمليّة الحجاج فأن تحدّث قوما بما يعرفون وتخاطبهم بما يفهمون يسّهل عمليّة الإفهام في مرحلة أولى ويذلّل صعوبة الإقناع في مرحلة ثانية[1].ومن مظاهر ذلك مايلي:

أ. استحضار النص القرآني:

إنّ المتأّمل لزهديات أبي العتاهية يلاحظ تأثره الواضح بالقرآن الكريم فكأنّه جاء بمعاني القرآن ونظّمها شعرا وهذا يتناسب مع طبيعة الموضوع الذي يتناوله الشاعر، وقد أضفى ذلك على شعره قّوة وسلطة "فإن يستند الشاعر إلى كلام مقدّس في خطاب مدنّس يضفي على الثاني شيئا من قداسة الأّول ويمنحه بعض قّوته"[2].

ومن أمثلة ذلك:

1.قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[3]، وقوله أيضا: ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾[4] في:

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعُ غُرُورِ وَدَارُ صُعُودٍ مَرَّةً وَحُدُورِ[5]

إِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعٌ زَائِلٌ فَاقْتَصِدْ فِيهِ وَخُذْ مِنْهُ وَدَعْ[6]

2 .قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[7] في قوله:

- وما تَعْمَى العُيونُ عَنِ الخَطَايَا ولكِنْ إِنَّمَا تَعْمَى القُلُوبُ[8]

3 .وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[9] في:

(1) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 117.
(2) المرجع نفسه، ص 118.
(3) سورة الحدريد، الآية: 20.
(4) سورة غافر ،الآية: 39.
(5) الديوان، ص 170.
(6)المصدر نفسه، ص 218.
(7) سورة الحج ،الآية 46.
(8) الديوان، ص 23.
(9) سورة البقرة ،الآية 212.سورة آل عمران،الآية37سورة النّور،الآية38.

- سُبحَانَ من يُعطي بغَيْر حِسَابِ مَلِكِ الملُوكِ وَوارِثِ الأَرْبَابِ[1]

4. قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾[2] في:

- واعْلَم بأنَّ جميعَ ما قدَّمتهُ عند الإلهِ مُوفَّرٌ لَكَ لم يضعْ[3]

5. قوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[4] في:

- تموتُ فرداً وتأتي يومَ القيامةِ فردا[5]

6. قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[6] في:

- بَلا خَلقَهُ بالخَيْرِ والشَّرِّ فتنةً ليخبُرَ فيما في يَدَيهِ ويسأَلا[7]

7. قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾[8] في:

- مضَى في جميع النَّاسِ سَابِقُ عِلْمِهِ وفَصَّله من حيثُ شاءَ وَوصَّلا[9]

نكتفي بهذا القدر من الشواهد لأنّ التراكيب التي تحيل إلى نصوص قرآنية كثيرة ،وقد استدل بها الشاعر سعيا منه لإقناع المتلقي لأنّها تمثل أقوى حجة وأفضل دليل في منح خطابه مصداقية وكسب ثقة المستمعين وهي أدلة قطعية متضمنة لحقائق مؤكّدة.

إن القرآن يمثل عاملا تأثيريا على المتلقي يجعله يقر بصحة ما يدعو إليه في نصه المضمن كما أنّه منبع المعاني التي يلجأ الكثير إلى استعمالها ليفخموا بها أقوالهم ويجتذبوا نفوس سامعيهم.

(1) الديوان، ص 42.
(2) سورة المزّمل ،الآية 20.
(3) الديوان،ص215.
(4) سورة مريم ،الآية 95.
(5) الديوان، ص 125.
(6)سورة الأنبياء، الآية 35.
(7) الديوان، ص 303.
(8)سورة الإسراء ،الآية 12.
(9) الديوان، ص 303.

ب.استحضار الحديث النبوي:

يعتبر الحديث النبوي الشريف مصدرا معرفيا يأتي في المرتبة الثانية من حيث قوة حججه بعد القرآن الكريم، وقد اعتمد عليه الشاعر من أجل التفسير والتوضيح، وذلك بغرض الاستحواذ على ذهن المتلقي وتوجيهه ،لما فيه من معان سامية صادقة ومن أمثلة ذلك:

1. قول الرسول ﷺ "ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب"[1].

أخذه أبو العتاهية واحتج به فأحسن في قوله:

إذا كنتَ بالدُّنيا بصِيرا ًفإنَّما بلاغُ لكَ منها مِثْل زِاد المسافرِ[2]

2. ومن بين َمسْحوبٍ على حّرِ وجهِهِ ومن بينِ من يأتي أَغَرَّ مُحَجَّلا[3]

يستحضر الشاعر في هذا التركيب قول الرسول ﷺ: إ"نَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الِقيَامةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ"[4]، ليقنع المتلقي بأن الناس يوم القيامة فريقين، فريق يأتي مسحوبا مكرها، والآخر يأتي بمحض إرادته وهم المتقون "الغر المحّجلون".

3. إكْرَهْ لِغيرِكَ ما لنفسكَ تكْرَهُ وافْعَلْ بنفسكَ فعْلَ من يتنَزَّه[5].

ففي هذا البيت تلميح لقول الرسول صلى الله عليه وسلم"لا يؤمِن أَحدُكُم حتَّى يُحِبَّ لأَخيِه ما يُحِبُّ لنفسِه"[6].

وفيه دعوة للمتلقي بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويبغض لأخيه ما يبغض لنفسه، وهذه حقيقة الإيمان وهي إرادة الخير للنّاس.

4. وقُلْ حَسَناً وأمسِكْ عن قبيحٍ ولا تَنْفَكَّ عن سُوءٍ صَمُوتَا[7]

(1) المستدرك على الديوان، ص 690.
(2) الديوان، ص 149.
(3)المصدر نفسه، ص 304.
(4)الصديقي الشافعي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،ج6،ص205-206.
(5) الديوان، ص 408.
(6) الصديقي الشافعي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ج2، ص 261- 262.
(7) الديوان، ص 66.

في هذا البيت يدعو الشاعر المتلقي إلى القول الحسن إشارة إلى قول الرسول ﷺ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"[1].

5. دَعْ ما يريبُكَ لا تَأتِهِ وَجِهْ إلى ما لا يريبُ[2]

يدعو الشاعر المتلقي إلى ترك الشبهات، فإذا وجد الإنسان نفسه يشك في الشيء فليتركه لأنّ نفس المؤمن جبلت على أنها تطمأن إلى الصدق، وتنفر من الكذب مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبَ رِيبَةٌ"[3].

6. وما تَعْدِلُ الدُّنيا جَناحَ بَعوضَةٍ لَدى اللهِ أو مِقدارَ زَغْبَةَ طَائِرٍ[4].

فالشاعر يحتج لهوان الدنيا وذمها وبغضها وقد استدعى لذلك نوع من الحيوان "حشرة" يضرب به المثل في الحقارة وهو البعوض داعما قوله بحديث الرسول ﷺ: "لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ"[5].

7. إنَّ الغنى في النُّفوسِ والعِزُّ تَقوى اللهِ لا فِضَّةٌ ولا ذَهَبٌ[6]

يؤكد الشاعر أنّ الغنى الحقيقي هو غنى النفس، فمن استغنى بما في يده عما في أيدي الناس ولم يتطلع إليهم هو الجدير بلقب الغني ،والدليل على ذلك قول الرسول ﷺ : "لَيسَ الغِنَى عَنْ كثرة العَرَضِ، ولكنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ"[7]

(1) الصديقي الشافعي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ج8، ص 3.
(2) الديوان، ص 37.
(3) الصديقي الشافعي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ج1، ص 253.
(4) الديوان، ص 150.
(5) الصديقي الشافعي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ج4، ص 171.
(6) الديوان،ص45
(7) محمد عبد العزيز الخولي، الأدب النبوي، دار المعرفة ،بيروت، لبنان ،1982م،ص180.

استحضر الشاعر الأحاديث المذكورة ليدعم حججه وقد أخضع هذه الأحاديث إلى بعض التغيير جعلها تنصهرتمام الانصهار في نسيج النص، وقد أضفى ذلك على الكلام قّوة لاسيما حينما يكون المخاطب مطلعا على الحديث النبوي فلا يبقى له إلا الإذعان والتسليم.

ج. المثل:

المثل استقراء بلاغي وهو "حجّة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها ويراد استنتاج نهاية إحديهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها"(1).

ولما ّعرفت العرب أنّ الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام وتدخل في جل أساليب القول أخرجوها في أقواها من الألفاظ ليخفّ استعمالها ويسهل تداولها ،فهي من أجّل الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله، لقلّة ألفاظها وكثرة معانيها ،ويسير مؤونتها على المتكلم مع كبير عنايتها ،وجسيم عائداتها ومن عجائبها أنّها مع إيجازها تعمل عمل الاطناب ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب والحفظ موّكل بما راع من اللفظ وندر من المعنى(2).

ولا شكّ أن الاعتماد على الأمثال في الشّعر كوسيلة في التعبير ذو أهميةّ خاصّة لأنّه يتيح لنا لّجوع إلى الحادثة الأصلية والاطّلاع عليها ثم ّ إنّه يسموبالمعنى إلى مستوى القيم المشتركة هذا بالإضافة إلى كونه يقف دليلا على سّعة ثقافة الشاعر(3).

ولقد استعمل أبوالعتاهية المثل بوصفه آلية حجاجية ثريةّ بخلاصة تجارب الشعوب تبناّها في توصيل خبراته ونصائحه من أمثلة ذلك قوله:

1. إنِّيَحلبتُ الدَّهْر أَشْطُرَهُ فرأيتهُ لُم يَصْفُ لي حَلْبَهُ(4).

فالشاعر في هذا البيت ضمن مثلا من أمثال العرب في قوله "إنّي حلبت الدّهر أشطره" وهذا يضب مثلا للرجل العالم بالدهر ، و الأشْطُر ، و أصله في حلب النّاقة، لأنّك تحلُب شطرا،ثم تحلب

(1) محمّد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 82.

(2)أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ضبطه وكتب هوامشه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م، ج1، ص 10.

(3) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 294- 295.

(4) الديوان، ص 49.

الشطر الآخر،والمعنى أنّه جّرب الدهر في جميع أحواله،ومن قال حلب الدّهر شطريه فإنّه أراد الخير و الشر، والنفع و الضر[1].

وقدم أبو العتاهية هذا المثل ليقنع المتلقي بأنه جرب الدهر أي تعلم وجرب كثيرا لكن لم ينفعه التجريب.

2. الخرُقُ شُؤمٌ والتُّقى جُنَّة والرِّفقُ يمْنٌ والقُنوعُ الغَنى[2]

استعمل الشاعر هنا مثلا في قوله "الرفق يمن والخرق شؤم" وهذا المثل يضرب في حسن التدبير والنهي عن الخرق[3].

وقد أراد أن يقنع المتلقي بجملة من المفاهيم جاءت على شكل حدود وتعريفات إذا استعملها كوسيلة من وسائل إثبات الشيء إذ جعل العنف والاعتداء شؤم ،والتقى جنة، واللين بركة ،والغنى في القناعة.

3. كُلُّ امْرِيءٍ فكَما يدَيُن يَدُانُ سُبحانَ من لمْ يخلُ منه مَكانُ[4]

أراد الشاعر في هذا البيت أن يقنع المتلقي بأن الجزاء من جنس العمل في كل مكان وزمان مهما تبدّلت الظروف والأحوال والفضل في ذلك يعود لله سبحانه وتعالى ولتبرير ذلك استحضر مثلا في قوله: "كما تدين تدان" أي كما تجازي تجازى .يعني كما تعمل تجازى إن حسنا فحسن وإن سيء فسيء ، إن عملت عملا حسنا فجزاؤك جزاء حسن ،وإن عملت عملا سيئا فجزاؤك جزاء سييء[5].

4. ما ينالُ الخيَرَ بالشَّرِ ولا يَحْصِدُ الزَّارعُ إلاّ ما زَرَعْ[6]

(1) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال،ص280.
(2) الديوان، ص 12.
(3) ابن عبد ربه(أحمد بن محمد)،العقد الفريد،ج3،تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،1404 هـ،1983م،ص51.
(4) الديوان، ص 370.
(5)الميداني ،مجمع الأمثال، ص www.almostafa.com.505
(6) الديوان، ص 218.

يؤكد الشاعر في قوله هذا أن الإنسان لا يحصل على الخير بالشر وإنما يحصل على الخير بالخير لذلك يدعو المتلقي إلى فعل الخير لأنه يعود عليه بالنفع واستدل على كلامه بتضمين مثل شائع معروف للجميع "كما تزرع تحصد"(1) وهذا المثل يحمل تقريبا نفس معنى المثل الذي أوردناه قبله "كما تدين تدان".

5. وفي الصَّمْتِ المـ ُ َبلِّ ِغ عَنْكَ حُكْم َكماَ أَنَّ الكَلاَم ي َكُونُ حُكْما(2)

والصَّمتُ لِلَمْرِءِ الحليَمِ وِقَايةٌ يْنفي بهاَ عَنْ عِرْضِه ما يكْرَهُ (3)

يرى الشاعر أن الصمت في بعض الأحيان حكمة يحترس بها الإنسان من كل طيش، لأن في السكوت سلامة المرء واستدل على ذلك بتضمين كلامه مثلا يقال في الصمت "الصمت حُكم وقليل فاعله"(4).

6.الشَّيء ُ مُحُوصٌ عليه إذا امْتَنَعَ َولقلَّ مَنْ يَحْلُو لَهُ مَنْ ولَعْ(5)

فيه تلميح إلى مثل من أمثال العرب "المرء تّواق إلى ما لم ينل"(6) وهذا يعني أنّ الإنسان حريص على مايمنع منه.

على أن المشترك والشائع والمتداول لا ينحصر في المواضع التي ذكرناها وإنما قد يكون المشترك خرافة كامنة في ذاكرة الفرد بصفة خاصة والذّاكرة الجـ ـماعية بصفة عامة مما يحّريقين المتلقي التخييلي ومن ذلك لفظة "الغول" التي وظفها الشاعر كرمز لإعطاء معانيه قّوة الإقناع في قوله:

1. بليُتُ من الدُّنيا بغُولٍ تلوَّنَتْ لها فتِنٌ قدْ فضَّضَتْهاوذَ هَّبتْ(7)

2 . واْحذّر فلستَ من الأيَّامِ مُنْفَلتاً حتّى تَغْوُلَكَ من أَيامكَ الغُولُ(8)

(1) الميداني مجمع الأمثال،ص513.
(2) الديوان،ص358 .
(3) المصدر نفسه،ص409 .
(4)، ابن عبد ربه،العقد الفريد،ج3.ص 17.
(5) الديوان ،ص224
(6) ابن عبد ربه،العقد الفريد،ج3،ص 55
(7) الديوان، ص 78.
(8)المصدر نفسه، ص 278.

3 . ولقد رأُو غيلانَ ريبِ الدَّهرِغُ ولابُعد غ ُولِ[1]

4. للموتِ غولٌ فكن ما عشتَ ملتمِّسا من غُولِه حيلةً إن كنتَ محتالًا[2]

إن لفظة "الغول" لا تنتمي إلى الحقائق الموجودة في الواقع الحسي وإنما هي حقيقة نفسية ذهنية، ترتبط بمعان خيالية واسعة، و تستمد معانيها من السياق الذي ترد فيه.

ففي التركيب الأول استعملها الشاعر كرمز يحمل معنى حسنا للدلالة على كثرة فتن الدنيا وتلونها يقول الجاحظ "والعامة تزعم أنّ الغول تتصور في أحسن صورة إلا أنّه لا بدّ أن تكون رجلها رجل حمار"[3].

كما ربط الجاحظ معنى الغول بالمرأة في قوله: "وتزعم العامة أنّ الله تعالى قد ملّك الجّن والشياطين والعّمار والغيلان أن يتحّولوا في أيّ صورة شاؤوا إلاّ الغول فإنّها تتحول في جميع صورة المرأة ولباسها إلاّ رجليها..."[4]. وفي قول الشاعر إحالة إلى هذا المعنى.

وفي التركيب الثاني والثالث يحذر الشاعر المتلقي من تقلب الأيام والدهر واستعمل لفظ الغول للدّلالة على هذا التحّول والتبدّل وبالتالي يوجّه المتلقي إلى غاية هي عدم الاطمئنان للدّنيا والوثوق بها.

أما في البيت الرابع يتحدث الشاعر عن غول الموت للدّلالة على أن الموت يأتي في صور مختلفة فأسباب الموت تتعدد و تختلف ،كما أن الهيئة التي يأتي فيها ملك الموت ربمّا تختلف من شخص لآخر.

وقد تحمل كلمة"الغول" دلالة القّوة والشدّة والحيلة كما في قول الجاحظ: "فالغول اسم لكل شيء من الجّن يعرض للسُّفّار ويتلّون في ضروب الصُّور والثياب..."[5].

---

(1)المصدر نفسه، ص 298.

(2)المصدر السابق، ص 302.

(3) الجاحظ، الحيوان، وضع حواشيه محمّد باسم عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج3، ج5،6، ط2، 1424هـ، 2003م ص 426.

(4)المرجع نفسه، ص 430.

(5) المرجع نفسه ، ص 397.

ربط الجاحظ الغول بالجّن والجّن معروف بهذه الصفات وبالتالي يقف الإنسان عاجزا أمام حيل الجّن لأن حيله لا تقاس بحيل الجّن وهذا ما نلمسه في قول الشاعر.

وما ينبغي قوله أن المتكلم لجأ إلى هذه الخرافة نظرا لزخمها الدلالي فهي مليئة بالمعاني المثيرة والتي تمكن من استيعاب الفكرة والوقوف على تجلياتها.

د. الحكمة:

يستعمل المرسل الحكم كأداة حجاجية وهي ليست أقوالا تردد على الألسنة ،أو تحفظ لتبجيلها، وإنّما هي صيغ نظمية يقتضيها سياق الكلام في الأغراض والموضوعات المتنوعة، وترد في مستهلّها أو عقبها مقصودا بها التأثير والاستدلال والإقناع[1].

والحكمة ملخص تجربة إنسانية تنحو منحى أخلاقيا وترمي إلى الإصلاح والتّقويم أو على الأقل إلى الإفادة بالتجربة المتّفق عليها كونياّ ولهذا فهي رافد مهّم في العملية الحجاجية لما تضطلع به الحكمة من وظيفة تبريرية للآراء والمواقف والأحكام[2].

والحكمة في شعر أبي العتاهية كثيرة شائعة ،فهو شاعر الحكمة بلا منازع،بحيث لا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من أبيات ساقها في حكمة وهي من العناصر المهّمة التي يقوي بها شعره ،إذ يسوق الحكم في صورة تقريرية فيها توكيد وقّوة ومن أمثلة ذلك قوله:

والصَّبرُ يُعقِبُ رضواناً و مغفِرَةً مع النّجاحِ و خَيرُ الصُّحبَةِ الصُّبرِ

النّاسُ في هذه الدنيا على سَفَرٍ وعن قريبٍ بهم ما ينقضي السّفَرُ

فمنهُم قانِعٌ راضٍ بعيشتِهِ ومنهُم موسِرٌ والقلبُ مُفتَقِرُ

ما يُشبِعُ النَّفْسَ إن لم تُمسِ قانِعَةً شيءٌ ولو كَثُرَتْ في مُلكِها البِدَرُ

والنَّفْسُ تَشبَعُ أحياناً فيُرجِعُها نَحو المجاعَةِ حُبُّ العْيشِ والوَطَرُ

والمَرْءُ ما عاشَ في الدنيا لهُ أثَرٌ فما يموتُ و في الدنيا لهُ أثَرُ[3]

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 541.

(2) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 113.

(3) الديوان، ص 154.

وقوله أيضا:

متى ما يُرِدْ ذو العرشِ امراً بِعَبدِهِ يُصِبْهُ وما للعبدِ عما تَخيَّرَ
وقد يهلكُ الإنسانُ من بابِ أمنهِ وينجوا بعونِ الله من حيثُ يحْذَرُ[1]

فهذه المعاني الحكمية صاغها الشاعر في قالب تقريري فكانت بمثابة الدعائم والركائز التي تقوم بتبليغ المعاني وإيصالها إلى المتلقي وذلك يعود إلى طبيعة الحكم باعتبارها معاني مشتركة تعتمد على حقائق الحياة الثابتة في طبائع الناس وأحوالهم ومذاهبهم.

وما ينبغي قوله في الأخير

- أن هذه الحجج الجاهزة تسهم في بناء الخطاب الحجاجي على أسس قوية "تكتسب قوتها من مصدرها ومصادقة الناس عليها وتواترها"[2].
- تمثل هذه النصوص (الحجج) قواسم مشتركة بين المتكلم (الشاعر) والمتلقي،يستشهد بها الشاعر حتى لايشك المتلقي في الحكم أو يفكر في مخالفته وبالتالي يضمن استمالتهم وإقناعهم.
- تنتسب هذه الحجج إلى ترتيب معين وذلك حسب قوتها الحجاجية ويكون ترتيبها القرآن الكريم ثم الحديث الشريف وهكذا نزولا.

7. استحضار الأسماء:

إنّ استحضار بعض الأسماء هي إحالات تاريخية مشحونة بالأحداث والإنجازات والنبوغ وقد وظّفها الشاعر في شعره لونا من ألوان التضمين كما أنها شكل من أشكال الإيجاز، فقد يذكر المتكلم بعض الأسماء وهو يقصد تاريخها وقيمتها ودورها المتميز في الحياة البشرية فمنهم من كان يضرب به المثل في القوة والسلطة والعّزوالجبروت ومنهم الذي كان يضرب به المثل في التقى والزهد والبر.

إن الإيجاز وسيلة تأثير واستمالة "فالقصير الموجز أنفذ إلى الأسماع وأحسن موقعا في القلوب والأذهان فضلا عن كونه سريع الانتشار يسير الشيوع والتواتر"[1].

---

(1)المصدر السابق، ص 151.

(2) محّد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 90.

أضف إلى ذلك أن استحضار هذه الأسماء يشير إلى وقائع معينة واستحضار الوقائع هو في حد ذاته فعل حجاجي يقول بيرلمان وتيتيكاه "إن القيام بانتقاء عناصر معينة وتقديمها للمستمع (auditoire) ينطوي مسبقا على أهميتها وملاءمتها للنقاش وبالفعل يمنح هذا الاختيار لهذه العناصر حضورا يعتبر عاملا جوهريا للحجاج"[2].

وقد أشار الشاعر إلى بعض الأحداث التاريخية من خلال ذكر بعض الأشخاص التي تلفت الأذهان إلى الماضي وما كان فيه من فناء البشر وزوال العروش وموت الملوك والأنبياء وغيرهم في قوله:

لمـ انـ ايا تجُوسُ كُلَّ البِـلادِ		والمـ نـ ايا تفُني جميع بـ اد
لتنـ الَنَّ من قـ رونٍ أراها		مثل ما نـ لن من ثمودٍ وعاد
هنَّ أفنينَ من مَضَى من نزارَ		هُنَّ أفنينَ من مضى من إيادِ
هل تـ ذكَّرتَ من خلا من بـ ني سا		سانَ أربابِ فـ ارسٍ والسَّوادِ
أين النبُّي صلّى عليه الله من مُهْتد شيدٍ وهاد
أ ين داوُد أين أين سُليما		نُ المـ نـ يعُ الأعراضِ والأجنـ اد[3]
أين نمرودُ وابنـ ه أين قـ ارو		نُ وهامانُ أين ذو الأوتاد
إنَّ في ذكرنا لهُمْ لاعتبارًا		ودليلاً على سبيلِ الرَّشادِ[4]

وقوله:

وأين كِسرى أنو شروانَ مالَ به		صَرفُ الزَّمانِ وأفنى مُلْكَهُ الغِيرُ
أ عدْ أبا بـ كرٍ الصِّدِّيق أوَّلهُم		ونادِ من بـ عدِه في الفَضْلِ يا عُمر
و دَّ من بـ عدِ عُثْمانٍ أبا حَسَنٍ		فإن فـ ضْلهُما يُروى ويُذَّكر
يـ لْحَقُ أهلُ التُقى فـ يها لِبِرِّهم		ولا الجـ بـ ابِرَةُ الأملاكُ ما عمُّوا[5]

فحديث الشاعر عن الأمم والأشخاص والملوك الماضية وسيلة حجاجية لكي يدل على

---

(1) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 123، 124.

(2) الحسين بنو هاشم، آليات الحجاج في كشف ما هو في الحقيقة لجاج، ص 48.

(3) الديوان، ص 112.

(4)المصدر نفسه، ص 113.

(5)المصدر نفسه، ص 154.

العبرة التي يمكن استخلاصها من التذكير بهم يقول ابن رشيق: "ومن عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المراثي بالملوك الأعزّة والأمم السابقة"(1).

والغاية التي كان يريدها الشاعر هي الوعظ والتذكير بالموت ليقنع المتلقي باستخلاص العبرة وتجنبيه ما فعل السابقون من شرور وحثّه على المزيد من فعل الخيرات والمسارعة إليها وعلى هذا فإنّ الإحالة إلى هؤلاء الأسماء وسيلة لا تخرج عن معنى الترغيب والترهيب.

فالشاعر يؤمن بأنّ الحياة زائلة والإنسان فيها ليس مخلدا والدليل على ذلك الأجيال التي سبقت من شبان وشيوخ وقادة وملوك وأنبياء وغيرهم.

(1) ابن رشيق، العمدة، نقلا عن محمّد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1985، ط2، 1986، ط3، 1992 ص 127.

خلاصة الفصل:

من خلال ما تم تحليله من نماذج بلاغية في هذا الفصل اتضح لنا أنّ هذه الأساليب البلاغية الموظّفة كان لها دورها في صناعة الحجج ،حيث اعتمد الشاعر على أسلوب التقسيم من أجل توضيح حججه ،كما اعتمد الموازنات الصوتية ،والتصريع الذي انبنت عليه بداية كل قصيدة ،وقد أكثر من استخدام الثنائيات كالطباق والمقابلة والتي تسمى في علم البلاغة بالبديع، واحتلت الصور البيانية مساحة نصية واسعة تراوحت بين التشبيه والاستعارة والكناية وهي من المظاهر الحجاجية التي وقف عندها الدرس التداولي والحجاجي وتعتبر من أكثر الآليات التي يدرك بها الإنسان العالم من حوله ويمارس بها تجاربه.

أما الشواهد فقد اقتبس من القرآن الكريم والحديث الشريف وضّمن كلامه الأمثال والحكم من أجل تحقيق أهدافه الإقناعية وتقوية لأمره على المخاطب.

وقد أدت هذه الأدوات دورا حجاجيا لا على سبيل الزخرف اللفظي وإنمّا هي أساليب للإبلا غ والتبليغ.

ومن هنا يدخل الجانب البلاغي كآلية رئيسية في تشكيل الخطاب لتحقيق تواصل مميز ومثمر بين الناس.

خاتمة

لقد سعينا في هذه الدراسة المتواضعة إلى عرض للحجاج من خلال الوقوف على تاريخه ومفهومه وعلاقته بالشّعر وإلى الكشف عن الوظيفة الإقناعية والحجاجية للنص الشعري الذي قمنا بتحليله وقد خلصنا في ذلك إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- إنّ الحجاج خاصية جوهرية في كل خطاب فهو حلقة وصل بين علوم شتى تتجاذبه كالتداولية والبلاغة واللغة... بل يمتد إلى مختلف نواحي الحياة ليشمل كل ما له صلة بالحياة فنجده في التربية والدين والأخلاق والشعر والفن... وحتى ضمن حياتنا اليومية.
- ليس الحجاج ظاهرة فكرية حديثة بل له امتدادات قديمة خاصة عند اليونان والمسلمين ويتجلى الحجاج واضحا في ثقافتنا العربية الإسلامية في علم الكلام والفلسفة والمناظرة والخطابة وعلم الأصول... وارتبط عند اليونان بالخطابة وصناعة القول والجدل والحوار.
- إنّ الشعر ملائم للدراسة الحجاجية خلافا لما يعتقد وذلك أن هدفه الحث والتحريض والإقناع وهو يسعى إلى تغيير أفكار المتلقي ومعتقداته ودفعه إلى تغيير مواقفه وسلوكه معتمدا في ذلك على عُدَّة بلاغية ولغوية ومنطقية.
- موضوع نظرية الحجاج في البلاغة الجديدة هو درس تقنيات الخطاب التي تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أفكار وآراء أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم.
- شيوع الأساليب الإنشائية لدى الشاعر وتكرارها بشكل ملفت للانتباه كالأمر والنهي والاستفهام والنداء والتعجب لأنها تمنح المتكلم حرية ومجالا واسعا للتعبير من أجل توجيه المخاطب إلى فعل سلوك ما في المستقبل، إلاّ أنّ الشاعر لم يسر في هذه الأساليب الإنشائية على وتيرة واحدة في بعض الأحيان بل عمد إلى المغايرة والانتقال من أسلوب إلى أسلوب حتى يجدد نشاط سامعيه ويجنبهم الملل والسآمة من أجل لفت انتباههم إلى خطابه وهذا لكي يحقق عنصر التأثير والإقناع.

- اعتمد الشاعر على أسلوب الشرط القائم على علاقة الاقتضاء بين السبب والنتيجة والذي يسهم في بناء الاستدلال من أجل إذعان المتقبل وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى نتيجة معينة.
- استخدم الشاعر النفي وهو عامل حجاجي لنفي اعتقاد المخاطب وتوجيه سلوكه وفق الوجهة التي يحددها المرسل.
- وظف الشاعر التوكيد والقصر والعطف كآليات حجاجية ،طلبا لتثبيت ما يريده في ذهن السامع وإزالة ما يعتقده من احتمالات وشكوك.
- شيوع التكرار بمختلف أشكاله للدلالة على تقوية المعنى وإفادة ثباته ودوامه مما يوفر طاقة مضافة في الخطاب هدفها التأثير في المتلقي وهذا ما يبرز اهتمام الشاعر بأحوال مخاطبيه.

وعليه فاللغة قامت بدور هام في زهديات أبي العتاهية بما تضمنته من مؤكدات وشرط وقصر وعطف... ولغة الشاعر غنية بكل ذلك لغنى ثقافته وسعة معرفته.

- اعتمد الشاعر على الوسائل البلاغية كالاستعارة والتشبيه والطباق والمقابلة... مما أكسب الخطاب درجة عالية من التأثير والإقناع فهي لم تعد شكلا أسلوبيا أو نوع من أنواع الزخرف اللفظي بل أصبحت إحدى آليات الحجاج في الخطاب الشعري.
- ارتباط لغة الشاعر بلغة القرآن الكريم واقتباسه منها ومن موضوعاتها مما يضفي عليها الطابع القدسي السلطوي،إذ أنّه يحاكي أسلوب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فكان دعما وتفعيلا ناجحا للوظيفة الإقناعية، وأيُ الأقوال أعظم وأحق بالإتباع غيرهما؟
- اكتساء خطاب الشاعر بالحجج الجاهزة كالقرآن الكريم والحديث الشريف والأمثال والحكم أضفى على خطابه مصداقية قوية فهو أكثر الشعراء نظما لشعر الحكمة والزّهد والمواعظ المقتبسة من الكتاب والسنة وهذا ما منحه حق الاضطلاع بوظيفة الحث والردع.وهي إحالة إلى القيمة المعرفية للشاعر.

- استحضار صور الماضي وما فيه من فناء الدول والعروش –نحو حديثه عن الأمم السالفة – وكأنها حاضرة أمام القارئ وفي ذلك قيمة حجاجية أهمها استدراج السامع للوقوف على الأحداث كما هي في الواقع.
- يرتبط الشعر عند أبي العتاهية بواقع الحياة كأن يحمل موقفا أو يعدّل سلوكا أو يدعو إلى أمر أو ينهو عنه بعيدا عن المفاهيم الأخرى التي تجعل الشعر فنّا لذاته،فهو عنده فعل وسلوك ففي كل مرّة يوجه المتلقي وينصحه على القيام بفعل ما ويلح عليه في أن ينجزه ،لأنّه في نظره رسالة يؤديها الشاعر بإخلاص والحث الدائم على الالتزام بها.

وأخيرا يمكن القول أن طبيعة الموضوع هي التي فرضت علينا اختيار هذه الآليات والقيام بهذا النوع من التحليل ،ولا ندعي في بحثنا هذا أننا أحطنا بدراسة جميع الآليات الحجاجية فهناك آليات أخرى لم نتمكن من دراستها ،بل حاولنا أن نلتمس البعض منها من أجل الاقتراب من جوهر الحجاج ،وكذلك تفاديا لتكرار الأمثلة وبالتالي تكرار الاستنتاجات لأن الغرض واحد وهو الزهد.

ملحق

أبو العتاهية حياته وزهده

أبو العتاهية حياته وزهده:

إنّ المتتبع للحياة الاجتماعية في العصر العباسي يجد أنه فاق غيره من العصور في جوانب شتّى منها المجون واللهو والترف، وقد وجد الزُّهد كرد فعل لتلك الممارسات الخليعة الماجنة، وكان للزّهد شعراؤه سواء من الزّهاد الذين نشأوا على الزُّهد، أو من الذين تركوا الغزل والمجون وتفرغوا للزّهد، وأبو العتاهية هو أحد هؤلاء الأعلام الذين تلوح منهم ومضات وإشعاعات حيث ظهر في هذه الفترة التي شاع فيها اللّهو والمجون ناظما في الزّهد والحكمة والموعظة.

1.ولادته وأصله ولقبه:

هو إسماعيل بن القاسم بن سُويد بن كيسان، مولى عنزة، وكنيته أبو إسحاق، ولقبه أبو العتاهية،ولد بالكوفة سنة 130هـ/748م ونشأ بها، وكانت باديته.

وقيل: إنّ السبب في تلقيبه بأبي العتاهية هو أنّ المهدي قال يوما له: أنت إنسانٌ متخذلق معتَّهٌ، فغلبت عليه، وسارت له في الناس. وقيل "كني بأبي العتاهية لأنه كان يحبُّ الشهرةَ والمجون والتعتّه". أما ابن منظور فيقول: وأبو العتاهية: كنية، وأبو العتاهية: الشاعر المعروف ذكر أنه كان له ولد يقال له عتاهية، وقيل: لو كان الأمر كذلك لقيل له: أبو عتاهية بغير تعريف، وإنّما هو لقب له لا كنية، وكنيته أبو إسحاق ...لقب بذلك لأن المهديَّ قال له: أراك متعتّهًا، وكان قد تعتّه بجارية للمهدي واعتقل بسببها، وعرض عليها المهديّ أن يزوجها له فأبت، واسم الجارية عُتبَةَ، قيل: لقب بذلك لأنه كان طويلا مضطربا، وقيل: لأنه يُرْمى بالزندقة. والعتاهة: الضلال والحُمْق[1].

وتكاد تجمع معظم الروايات على أنّ أبا العتاهية ولد في بلدة "عين التمر" وإليها نسبته "العيني" وكانت تقع "عين التمر" التي ولد فيها الشاعر في بادية الجزيرة بين الأنبارشمالاوالحيرةجنوبا وهي أقرب إلى الأنبار منها إلى الحيرة وبذلك تقع إلى الغرب من نهر الفرات وعلى هذا يجمع جمهور المصنّفين[2].

---

(1) هشام صالح مناع، أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1999، ص 7.

(2) أحمد محمّد عليّان، أبو العتاهية حياته وأغراضه الشعرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ-1991، ص 61، 62.

2.بداية حياته:

إنّ البيئة التي كان يحياها أبو العتاهية في الكوفة فرضت عليه اختلاطه بالمجّان من الشعراء أمثال مطيع بن إياس ووالبة بن الحباب، كما دفعت به إلى حلقات العلماء في مساجد الكوفة، مما أتاح له إتقان العربية والوقوف على مذاهب أصحاب المقالات، وهو في أثناء ذلك يكثر من نظم رقائق الغزل ومن الغدو والرّواح إلى نوادي القيان والمغنين.

أخذ أبو العتاهية بعد ذلك بالتطلع إلى حياة أفضل من أجل تحسين وضعه الاجتماعي والأدبي، فاتفق مع صاحبه النبطي إبراهيم الموصلي المغني المعروف على نزولهما إلى بغداد، وسرعان ما افترقا، فأما إبراهيم فبقي في بغداد لرواج تجارته الغنائية، وأما أبو العتاهية فنزل الحيرة لكساد بضاعته الشعرية في بغداد، ثم اتصل بعد ذلك بالخلفاء والوزراء.

عاد أبو العتاهية إلى بغداد بدعوة من إبراهيم الموصلي الذي قدمه بدوره إلى المهدي الخليفة وأعطاه أجزل الجوائز، ثم اتصل بالهادي بعد وفاة المهدي فأجزل له العطاء ثم بالرشيد(1).

3. اتهّامه بالزندقة:

اتّهم أبو العتاهية بالزندقة، مع كثرة نظمه في الزهد والمواعظ والحكم والأمثال، وذكره الموت والحشر والجنة والثواب والعقاب، يروى عن منصور بن عمار أنه قال: "أبو العتاهية زنديق، أما ترونه لا يذكر في شعره الجنّة ولا النّار، وإنّما يذكر الموت فقط".

وينقل ابن المعتز عن المزيدي قوله: "والذي يصح لي أنه كان ثنويا" أي ممن يقول بأنّ الآلهة اثنان: إله الخير وإله الشر.(2)

ولكن أبا العتاهية لم يستسلم لاتهامه بالزّندقة، وردّ على متهميه، يروى أنّ الرشيد قال لأبي العتاهية: الناس يزعمون أنّك زنديق. فقال: يا سيدي كيف أكون زنديقا وأنا القائل:

(1) هشام صالح مناع، أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، ص 9-10.

(2) المرجع نفسه،ص 13.

أيا عجبي كيف يُعصى الإلــ ـــه، أم كيف يجحده جاحد؟

ولله في كلِّ تحريـكـــــــــــةٍ وفي كلّ تسكينة شـــــــاهدٌ.

ويخالفهم ابن عبد البرّ الذي جمع شعره بناء على ما جمعه من شعر الرجل، وردّ ذلك الاتهام إلى تحاسد الشعراء.[1].

4. زهده:

قال أبو العتاهية الشعر في الأغراض الكبيرة المعروفة مثل المدح والهجاء والعتاب والوصف والرثاء والموعظة والحكمة ولكنّه اشتهر بفنين اثنين هما الغزل والزُّهد.

وتكاد تجمع الروايات على أنّ أبا العتاهية بدأ يتزهّد ويلبس الصوف ويترك قول الشعر في الغزل منذ أن حلّ الرشيد بالرقة واتخذها مقاما له سنة 180هـ[2].

يروى عن أبي سلمة الغنوي أنه قال لأبي العتاهية: "ما الذي صرفك عن قول الغزل إلى قول الزهد؟ قال: إذن والله أخبرك، إني لما قلت: (من المدح).

الله بيني وبين مــــــــولاتي أهدت لي الصدّ والملالات

منحتها مهجتي وخالصتي فكان هجرانها مكلــفاتي

هيّمني حبُّها وصـــــيّرني أحدوثة في جميع جــاراتي.

رأيت في المنام في تلك الليلة، كان آتيا أتاني فقال: ما أصبت أحدا تدخله بينك وبين عتبة يحكم لله عليها بالمعصية إلاّ الله تعالى؟ فانتبهت مذعورا وتبت إلى الله تعالى من ساعتي من قول الغزل"[3].بحيث أصبح لا يتعلق إلّا بالزهد ويتفرغ لإنشاء الشعر فيه ويتخصص في هذا الفن نابذا وراء ظهره كل الموضوعات الأخرى، ويعد شعره في الزّهد أغنى الموضوعات من حيث هو مصور لنفسه

---

(1) هشام صالح مناع ، أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، ص 14-15.

(2) أحمد محمد عليان، أبو العتاهية حياته وأغراضه الشعرية، ، ص 85.

(3) هشام صالح مناع، أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، ص 12.

وشخصه وتجاربه ومذهبه، وتطور ذلك كله بعد أن أنظره في بوتقة بيئته وعصره على حرارة معاملاته مع الناس واحتكاكه بالآثار الثقافية والاجتماعية والسياسية[1].

5. **وفاته**: اختلفت الروايات في سنة وفاته:

ورد في الأغاني:

عن مخارق المغني قال:"توفي أبو العتاهية،وإبراهيم الموصلي وأبو عمرو الشيباني عبد السلام في يوم واحد في خلافة المأمون،وذلك في سنة ثلاث عشرة ومائتين"[2].

وذكر الحارث بن أبي أسامة عن محمد بن سعد كاتب الواقدّي:أنّ أبا العتاهية مات في يوم الاثنين لثمان خلون من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة ومائتين ودفن حيال قنطرةالزّياتيين في الجانب الغربي ببغداد[3].

أخبرني الصولي عن محمد بن موسى عن أبي محمد الشيباني عن محمد بن أبي العتاهية: أن أباه توفي سنة عشر ومائتين[4].

---

(1) أحمد محمد عليان، أبو العتاهية حياته وأغراضه الشعرية،ص145..

(2) أبي الفرج الأصفهاني،الأغاني،مج4 ، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء،الدار التونسية للنشر،تونس،طبعة1983، ص112.

(3) المرجع نفسه، ص113.

(4) المرجع نفسه، الصفة نفسها.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

1. ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط2.

2. أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، حققه وعلق عليه عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت ،دار القلم، بيروت-لبنان،1979م .

3. أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1935م.

4. أحمد محّمد عليّ ان، أبو العتاهية حياته وأغراضه الشعرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ-1991م.

5. أفلاطون، المحاورات الكاملة، نقلها إلى العربية شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، المجلد الأول،1994م.

6. أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط1، 1414هـ-1994م.

7. أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1،2010م.

8. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 1426هـ/2006م.

9. تسعديت فوراري، المتلقي في منهاج البلغاء وسراج الأدباء، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سلسلة الدراسات (13)، 2008م.

10. التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، وضع حواشيه أحمد حسن بسج، م1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط، 1427هـ-2006م.

11. جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الباحثين والأساتذة إشراف عز الدين المجدوب، منشورات دار سيناتارا، المركز الوطني للترجمة تونس، سلسلة اللسان،2010م

12. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، الحيوان، وضع حواشيه مُحَمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج3، ج5،6، ط2، 1424هـ، 2003م،.

13. الجاحظ، البيان والتبيين، تح عبد السلام مُحَمَّد بن هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، 1998م.

14. جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.

15. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: مُحَمَّد الحبيب بن خوجة، الدار العربية للكتاب ، تونس، ط3، 2008م.

16. حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010م.

17. حمو النّقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 134،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1427هـ/2006م.

18. حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم منشورات كلية الآداب، تونس، 1998م.

19. أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق مُحَمَّد حسن إسماعيل، شارك في التحقيق الدكتور أحمد رشيد شحاته عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 1428هـ-2007م.

20. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

21. ابن خلدون(عبد الرحمان بن مُحَمَّد)، المقدمة، اعتناء ودراسة أحمد الزغبي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

22. خليفة بوجادي،في اللسانيات التداولية مقاربة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع،سطيف-الجزائر،ط 1،2012م.

23. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.

24. رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.

25. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم ،دار المعرفة ،بيروت، لبنان ج2 .

26. الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

27. سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني بنيته وأساليبه، جدارا للكتاب العالمي، عمان الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1428هـ-2008م.

28. السكاكي(أبو يعقوب يوسف)، مفتاح العلوم، حققه و قدم له و فهرسه عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1 ،1420هـ-2000م

29. صابر الحباشة، لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، اللاذقية، ط1، 2010م.

30. صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، ط1، 2008م.

31. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ،عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت، عدد 164، 1992م.

32. الصديقي الشافعي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

33. طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط2، 2000م.

34. طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

35. عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى مرور القرن الثامن هجري، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 40، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1419هـ-1999م.

36. ابن عبد ربه(أحمد بن مُحَمَّد)،العقد الفريد ،تحقيق عبد المجيد الترحيني ،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان ،ج3،ط1 ،1404هـ-1983م.

37. عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006م.

38. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، صححها وعلق حواشيه مُحَمَّد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1409هـ-1988م.

39. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز غي علم المعاني، صحح أمثاله مُحَمَّد عبده ومُحَمَّد محمود التركزي الشنقيطي، صحح طبعه وعلق حواشيه مُحَمَّد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1402هـ/1981م..

40. عبد الله بيرم، التداولية والشعر قراءة في شعر المديح في العصر العباسي، تقديم: .منتصر عبد القادر الغضنفري، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان،2013_2014 م .

41. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، منوبة، ط1، 2001، ط2، 2007م.

42. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت ،لبنان ،ط1، 2004م.

43. أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق، 1384هـ، 1965م.

44. عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2011م.

45. علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، البيان المعاني والبديع، دار المعارف.

46. أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، مج4،تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء ،الدار التونسبة للنشر،تونس،طبعة1983.

47. فليب بروتون، جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: مُحَمَّد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، ط1، 1432هـ/2011م.

48. .قدور عمران،البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل،عالم الكتب الحديث،إربد،الأردن،ط1، 2012م.

49. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير للنشر والتوزيع، حسين داي- الجزائر، ط1، 2008م.

50. مُحَمَّد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991م.

51. مُحَمَّد سالم مُحَمَّد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008م.

52. محمد عبد العزيز الخولي، الأدب النبوي ،دار المعرفة ، بيروت ،لبنان ،1982م.

53. محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، المغرب، 2005م.

54. محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان.

55. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، إفريقيا الشرق، المغرب، بيروت، لبنان، ط2، 2002م .

56. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1985، ط2، 1986م، ط3، 1992م.

57. ابن منظور(جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر ،لبنان،ط6 ،1997م.

58. نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ط1، 1434هـ-2013م.

59. نعمان بوقرة، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل قراءات نصية تداولية حجاجية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012.

60. هشام صالح مناع، أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1999م.

61. أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي، وأبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1371هـ/1952م.

62. أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ضبطه وكتب هوامشه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م.

63. أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد تركي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 2000-2001م.

64. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، راجعته ونقّحته الدكتورة هلا رشيد أمّون، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.

المجلات والدوريات:

1. بريجيت نيرليخ، الاستعارة والكناية الأصول البلاغية الحديثة، ترجمة، حسين خالفي، مجلة الخطاب، دار الطباعة للنشر والتوزيع، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، العدد 3، ماي 2008.

2. الحسين بنو هاشم، آليات الحجاج في كشف ما هو في الحقيقة لجاج، الحجاج، عالم الفكر، العدد 2، المجلد 40، أكتوبر، ديسمبر، 2011.

3. رضوان الرقبي ، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله ،مجلة الحجاج،عالم الفكر،العدد2.،المجلد.40، أكتوبر-ديسمبر،2011.

4. عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة-الجزائر، العدد التاسع، 2013م.

5. لمهابة محفوظ ميارة ،مفهوم الحجاج في القرآن الكريم دراسة مصطلحية،مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ،المجلد(81)،الجزء(3).

6. محمود طلحة، القيمة الحجاجية لأسلوب القصر في اللغة العربية، مجلة الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع. تيزي وزو، العدد 3، ماي 2008م.

7. يمينة تابتي، الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، مجلة الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، العدد الثاني، ماي 2007.

8. يوسف محمود عليمات، بلاغة الحجاج في النص الشعري دالية الراعي النميري نموذجا، مجلة جامعة دمشق، المجلد 29، العدد (1+2)، 2013م.

الرسائل الجامعية:

1. ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب "الإمامة والسياسة" لابن قتيبة، دراسة تداولية ، أطروحة دكتوراه في اللغة ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة،2010،2009.
2. قالط بن حجي العنزوي، التداولية في التفكر البلاغي دراسة في "غرر البلاغة" لهلال بن المحسن الصابي، ماجستير في النقد والأدب، العربية السعودية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الفرع الثاني: جدار الكتب العالمي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014.

المواقع الإلكترونية:

1. أبو الزهراء، دروس الحجاج الفلسفي،2008،.http//www. philomartil.com
2. الميداني ،مجمع الأمثال. www.al-mostafa.com

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

ملخص البحث:

أخذ الحجاج مفهوما واسعا مع تطور الدراسات الحديثة وأصبح سمة تتسم بها كل الخطابات اللسانية و غير اللسانية على حد سواء ، بحيث غدت الحجة عصب حياة المجتمعات في مجالات مختلفة ،بل إنّ التواصل الإنساني جملة قائم على الحجاج إلى حد أنّ المرء ليسلم بأن لا تواصل من غير حجاج.

ولايعدم الشعر–بعده نصا تعبيريا – هذا المفهوم للحجاج إن لم يكن يقوم عليه أساسا فهو أداء كلامي يعتمد ضروبا من الصّناعة الفنيّة للتعبير عن آراء الشاعر ومواقفه من جهة ،ويهدف إلى التأثير العاطفي من جهة أخرى.

وزهديات أبي العتاهية إحدى أهم روائع تراثنا العربي في العصر العباسي والتي تهدف كأي نص أدبي إلى الإقناع ،ولذلك ارتأينا أن نتخذ منها موضوعا للدراسة من وجهة نظر حجاجية إيمانا منا بجدوى الكشف عن الجانب الإقناعي لهذا النص الشعري.

وقد اقتضت هذه الدراسة أن يتقاسم متن البحث العناصر الآتية:

–الحجاج والشعر: تم فيه إبراز الصفة الحجاجية للشعر.

–الحجاج بين النشأة والمفهوم: حاولنا فيه تقصي ماهية الحجاج من خلال الوقوف على تاريخه عند العرب والغرب.

–آليات الحجاج اللغوية في المدونة: والتي أبرزنا من خلالها الدور الحجاجي لبعض التراكيب اللغوية.

–آليات الحجاج البلاغية في المدونة: تناولنا هذه الآليات بالتركيز على أهم عناصر البلاغة التي تساعد في حدوث عملية التأثير والإقناع.

الكلمات المفتاحية:

الحجاج- الحجة- السلم حجاجي- عوامل حجاجية- قوة حجاجية- جدل- استدلال- إقناع – اقتناع-مواضع- نتيجة- ابتذال- زهديات- الحجاج والشعر- آليات حجاجية لغوية- آليات حجاجية بلاغية- برهنة- تأثير- بلاغة- خطاب-إثبات وتقرير- فعل لغوي- فعل توجيهي- فعل يقيني- أساليب إنشائية- عطف-نفي- شرط- قصر- تكرار- تقسيم- مقابلة- تضمين- تناقض- استعارة- تشبيه- كناية- تمثيل- طباق.

Résumé de recherche :

Le argumentation a adopté un large concept, avec le développement des études modernes et est devenu une référence de tous les discours linguistiques et non linguistiques au mème titre, de manière que l'argument est devenu l'élément vital des sociétés dans différents domaines, plutôt, que la plupart de la communication humaine est basée sur le argumentation, jusqu'à la limite ou l'homme doit reconnaitre qu'il n'y a pas de communication sans le argumentation.

La poésie le argumentation n'a pas exclu de texte expressif, ce concept du argumentation, s'il n'était pas fondé sur lui principalement, il est une performance de mot adoptant de large spectre de l'industrie artistique pour exprimer les avis du poète et sa position d'une part, et visant à l'impact émotionnel d'autre part.

Et l'ascétisme de ABI EL AATAHIA, l'un des principaux chefs-d'œuvre de notre patrimoine arabe dans l'ère abbasside et qui vise comme n'importe quel texte littéraire à la persuasion, et pour cela, j'ai jugé utile que je devrais à travers lequel adopter un sujet d'étude, du point de vue argumentatif et par notre conviction en la possibilité de détecter le coté persuasion de ce texte poétique.

Cette étude a nécessité que cette recherche doit partager les éléments suivants :

-le argumentation et la poésie : Il a été mis en évidence la qualité du argumentatif dans la poésie.

-le argumentation entre origine et concept : J'ai essayé à travers cette étude d'enqueter sur l'essence du argumentation à travers son l'histoire chez les Arabes et l'Occident.

-les mécanismes linguistiques du argumentation dans le mémoire :Que j'ai mis en évidence à travers lesquels le role du argumentatif dans certaines structure linguistique .

-les mécanismes rhétoriques du argumentation dans le mémoire : J'ai abordée ces mécanisme en se concentrant sur les éléments les plus importants de la rhétorique qui aident à provoquer l'effet de l'influence et de la persuasion.

Mots Clé

Argumentation – L'argument – Echelle argumentatif – Opérateurs argumentatifs – Force argumentatif – Dialectique – Inférence –Persuasive – Conviction- Lieus - Conséquent -– Trivial – L'ascétisme –Argumentation et la poésie - Mécanismes linguistique argumentatif – Mécanismes rhétorique argumentatif- Démonstration- Perlocutoir – Rhétorique- Discours- Affirmation- Acte de langage – Acte orientation – factif verbe – Styles performativité– Section –Négation – Condition – Restriction – Récurrence – Division – Correspondence – Implicitation–Contradiction – Métaphore – Comparaison - Métonymie– Représentation – Oxymoron.

Research Summary :

The argumentation has adopted a wide concept, with the development of modern studies and became a reference for all linguistics and non-linguistics discourses in the sameway, so that , the argument has become the life blood of companies in different areas, rather that most of human communication is based on the argumentation to the limit, where one has to recognize that there is no communication without it.

Poetry after the argumentation, has not ruled the exprssive text, this concept of the argumentation, if it wasn't primarily based on him, it is a performance of an adopting word of a wide spectrum of the artistic industry to express the opinion of the poet and his position on one hand, and to the emotional impact on the other .

And asceticism ABI EL AATAHIA, one of the principal masterpieces of our Arab heritage in the Abbaside era, which aims like any literary text to persuasion, and for that, I suggested that I should take that as a subject of study from the argumentative perspective, believing with the possibility to detect the persuasion sid of the poetic text.

This study required that this research must share the following :

-The argumentation and poetry :It has been revealed the quality of the argumentative in poetry.

-The argumentation betwween origin and concept :I tried through which to investigate the essence of argumentation through his history.

-linguistic mechanisms of the argumentation in the memory : What I have highlighted through which , the argumentative's role in certain linguistc structure . .

-Rhetorical mechanisms of the argumentation in the memory :I discussed the mechanism by focusing on the most important elements of the rhetoric that help in causing the influence and persuasion's effect.

key words

Argumentation – Argumente –Argumentative scale – Argumentative operators – Argumentative strength – Dialectic – Inference – Persuasive – Conviction– Topoi- Conclusion - trivial – Asceticism–Argumentation and poetry –Linguistic mechanisms argumentative – Rhetorical mechanisms argumentative-Demonstration - Perlocutoir – Rhetorical- Discourse- Affirmation-Speech act– Orientationact – Factive verb – Styles performativity – Meet – Negation – Condition – Restriction – Recurrence–Division – Corespondence–Implicature – Contradiction – Metaphore – Comparison–Metonymie –Representative –Oxymoron.